20 me année No 1003

Le Caire 22 — 9 — 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٤٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ــصــ
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٠٣ « القاهرة في يوم الاثنين محرم سنة ١٣٧٢ — ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

أخرسوا هذه الأصوات الدنسة

للأستاذ سيد قطب

« مهداة إلى وزير الدولة وضباط القيادة »

محطة الإذاعة المصرية لم تشعر بعد بأن هناك ثورة في هذا البلد . وقد ظل إدراكها لمعنى الثورة محصورا في إضافة بعض إذاعات جديدة إلى البرنامج العادي ، قائمة على جهد فردي بحت . لا على أساس انقلاب أساسي في عقلية الإذاعة !

وهذا طبيعي . فإن العقلية المشرفة اليوم على المحطة هي ذاتها العقلية التي كانت تشرف عليها منذ نشأتها

ومكلف الأشياء ضد طباعها   متطلب في الماء جذوة نار

إن الأصوات الدنسة التي ظلت تنثر على الشعب رجيعها خلال ربع قرن من الزمان هي ذاتها التي تصبها الإذاعة على هذا الشعب صبا ، وتكثر من عرض أشرطتها المسجلة بحجة أن الجماهير تحب هذه الأصوات

والجماهير تحبها نعم ! كما أن هذه الجماهير تحب المخدرات ! ولكن واجبنا اليوم هو حماية هذه الجماهير من الأصوات التي تحبها كما نحميها من المخدرات التي تحبها كذلك . واجبنا هو أن نصون ضمائر الناس وأخلاقهم من التميع والشهوات المريضة ، — المنفرة للرجولة والأنوثة — التي ينفثها في أرواحهم مخلوقات شائهة بائسة كعبد الوهاب ومحمد فوزي وفريد الأطرش وعبد العزيز محمود وليلى مراد ورجاء عبده وفايدة كامل وشهر زاد وأمثالهم .!

إن هذا الطابور المترهل الذي ظل يفتت صلابة هذا الشعب ويدنس رجولته وأنوثته ، هو المسؤول عن نصف ما أصاب حياتنا الشعورية والقومية من تفكك وانحلال في الفترة الماضية

إن فساد فاروق وحاشيته ، ورجال الأحزاب ومن إليهم ، لم يدخل إلى كل بيت ، ولم يتسلل إلى كل نفس . أما أغاني هذا الطابور وأفلامه فقد دخلت إلى البيوت ، وأفسدت الضمائر ، وحولت هذا الشعب إلى شعب مترهل لا يقوى على دفع ظلم أو طغيان . وعبد الوهاب ينفث في روعه أن الدنيا سيجارة وكاس !

إن هذه الأصوات بذاتها تكون جريمة وطنية ، وجريمة إنسانية ، بغض النظر عما تقول ! فلقد تحول هي ذاتها إلى ميوعة مدنسة حتى ولو كانت تنشد نشيدا حماسيا !

وهذا هو محمد عبد الوهاب يغني أخيرا « نشيد الحرية » للأستاذ كامل الشناوي . فماذا صنع به ؟ لقد استحال في حنجرته رجيعاً مائعاً ؛ ووصل إلى ضمير الشعب دعوة خانعة إلى تهويمة مخدرة ! ومع أن تلحين النشيد من الناحية الموسيقية فيه جهد واضح ، ولكن الكارثة كلها تكمن في طريقة الأداء الصوتية التي انطبعت بالشجن الضارع الترهل المخلول !

وعبد الوهاب رأس مدرسة ، والآخرون ليسوا خيراً منه بل هم شر . ولا سبيل لعلاج هذه المخلوقات الشائهة الزرية . لا سبيل

لعلاجها إلا بأن تخرس هذه الأصوات الدنسة إلى الأبد ، إذا أردنا أن نربى روح هذا الشعب تربية جديدة ، وأن نبث فيه حياة جديدة . وما كنا بمستطيعين من قبل أن نصنع هذا ، ولا أن نطالب بإخراس هـذه الأصوات كلية — مهما كان الشعب يحبها — لأن العقلية العامة لم تكن تستسيغ هذا الطلب . وربما لا تستسيغه الآن كذلك . ولـكن واجب الثورة يحتم عليها أن تفعله — مهما يكن فيه من اعتداء على حريات الأفراد — فواجب الثورة أن تحمى الناس من أنفسهم أحيانا . كما تحميهم من المخدرات . والمخدرات لا يمكن أن تفسد ضمير الشعب ، وأن تفتت تماسكه ، كما يفسدها فلم واحـد ، أو أغنية واحدة من أغنيات هذا الطابور !

ثم نعود إلى محطة الإذاعة فنجدها توالى برامجهـا القديمة بعقليتها القديمة — فيما عدا تعديلات طفيفة قائمة على جهود فردية بحتة — كأن شيئا ما لم يحدث فى حياة هذا البلد

لماذا ؟ لأن الرجال الذين عاصروا مولد الإذاعة هم القائمون عليها حتى الآن . وأنا آسف حين أتعرض لأشخاص بأعيانهم . فالأشخاص لا يهموننى فى شئ ، لولا دلالة وجودهم على أن الثورة لم تصـل بعد إلى محطة الإذاعة

خذ مثلا لذلك رجالا ، ردهم العهد الجديد إلى مراكز هامة فى محطة الإذاعة ، بينما هم عنوان على عهد لا ينبغى أن تظل له آثار فى العهد الجديد

كل من احتكوا بالإذاعة يعرفون كيف نال بعضهم رتبـة « البـكوية » فى سن مبكرة وكيف صعدوا الدرجات المالية وثبا

إن رتبة « البـكوية » كان لها معناها ، ولها أسبابها فى مثل تلك العهود . ومع هذا فقد استطاع بعضهم أن يعود إلى الإذاعة ، وأن يطلق أبواق الثناء عليه فى كافة الصحف !

لماذا ؟ لمجرد أن المنافسة القائمة على الحظوة بالرضى الملـكى السامى قد أبعدت قوما وقربت آخرين

ولـكن أحدا لم يسأل ، ولم يعرف ، فيم كان هذا الخلاف ؟

إنه لم يكن قطعـا خلافا على مبدأ ، ولا على حق من حقوق الشعب ، ولا على خطة ولا على فساد . إنما كان خلافا على الحظوة بلثم الأعتاب الملـكية الـكريمة !

ولم يقل أحد إن انتصار موظف على موظف فى هذا السباق يجعل أحدهما شريفا والآخر مجرما . ولـكن بعضهم قال هذا . وجاء بالمبعدين ليشرفوا على محطة الإذاعـة من جديد ، فى العهد الجديد !

إننى آسف حين أضطر إلى لمس ذلك الموضوع الشخصى ولـكن عذرى أنه عنوان على عهد يجب أن يزول

إن محطة الإذاعة يجب أن تنفض نفضا من أقصاهـا إلى أقصاها . إنها فى حاجة إلى تطهير من نوع خاص . فلم يبلغ الدنس فى جهة من جهات الدولة ما بلغ فى محطة الإذاعة . وإن جدرانها لو نطقت لأفصحت عن كثير ، مما لا يجوز نشره فى الصحف ، لا لأن القـانون يحرمه ، بل لأن كرامـة النفس البشرية تأبى الإفصاح عنه !

ولا سبيل للتطهير والأشخاص الذين عاصروا مولد الإذاعة وسايروها باقون فى مراكزهم بالمحطة . إن لهم صلات معينـة بالوسط الإذاعى لا يمكنهم التخلص منها . وإن لهم سهرات معينة لا يمكنهم أن يتنازلوا عنها . وإن لهم ارتباطات معينة لا يمكنهم التنكر لها ، ومهما حاول الوزير المختص أن ينقى جو الإذاعة من الشوائب فإنه سيظل عاجزا عن الوصول إلى تلك الملابسات التى تدخل فى عقود الإذاعة . وإلا اضطر إلى مراجعة ظروف كل إذاعة وهذا مستحيل !

وإن عقلية الإذاعة يجب أن تتغير ، فتنصرف إلى بناء أخلاق الشعب ومبادئه ومثله وأهدافه . وإلى بناء ثقافته وتفـكيره وتعبيره ، وإلى تعبئة قوى الشعب وعزيمته وأطماعه وأشواقه وإلى دراسة مشكلاته وتوجيهه وجهة سليمة

وهذا لا يكفى فيه تعديل البرامج ، ولا تنحية فرد أو اثنين . إنما هو فى حاجة إلى تنحية عقلية ، وتنحية تاريخ

ولا حاجة إلى المساس بالموظفين جميعا لتحقيق هذه الغاية . فالمهم هو تطهير الرؤوس المشرفة . الرؤوس الموجهة . الرؤوس التى عاصرت الفسـاد وسبحت بحمده وانغمست فيه

إن الرؤوس وحدها هى المتعفنة فى هذا الشعب . وقد سار الفسـاد من أعلى إلى أسفل ، ولم ينتقل من أسفل إلى أعلى وكذلك يمكن أن يسير الإصلاح فى نفس الطريق

سيد قطب

القيم الأخـــلاقية
والوظيفة الحـكومية

للدكتور عمر حليق

شغل المجمع الأمريكي للعلوم السياسـية والاجتماعية [1] فى إحدى حلقاته الأخيرة بموضوع هـام يتعلق بجوهر النظـام الديمقراطى الذى هو مقياس الرقى للشعوب الحية . فقد تختلف النظم الفكرية فى تحديد معنى الديمقراطية وأهدافها إلا أنهـا لا تختلف فى ناحية واحـدة على الأقل وهى نزاهة ومسئوليـة الوظيفة الإدارية مهما كان نوع الحكم الذى يعيش عليه المجتمع

والذى دفع المجمع الأمريكى إلى الاهتمام بهـذا الموضوع هو الاستياء الشديد الذى أعربت عنه الأوساط الواعيـة فى الولايات المتحدة الأمريكية إثر الكشف عن سلسلة من الفضائح فى دوائر ضريبة الدخل والتجارة ومؤسسات الإقراض الحكومية التى توفر للزراع والصناع قروضا طويلة الأمد بفوائد زهيـدة فى حالات الضيق الاقتصادى ، وفى دواوين حكومية أخرى كانت مسؤولية بعض الموظفين فيها ونزاهتهم موضع الشبهات

وقد أحب المجمع أن يعين الحكومة المركزية فى مواجهة هذه المشكلة وجعل حركات التطهير مستندة إلى دراسة علمية ترتفع عن مآرب السياسة الحزبية وأهواء ذوى النفوذ والمصالح . وقد عقد المجمع حلقة لدراسة القيم الأخـلاقية فى الوظيفة الحكومية اشترك فيها نفر من أئمة العلوم السياسـية والاجتماعية ومن كبار رجال السلك المدنى وأعضاء البرلمان . وقد نشرت محاضر جلسات هذه الحلقة فى سجل استند إليه كاتب هذه السطور فى وضع هذا المقال فى آونة يشتغل بها الرأى العـام العربى فى هـذا النوع من النشاط الاجتماعى

* * *

الوعى القوى فى المجتمعات الديمقراطية يفترض احـتراما وتقديرا لمسؤولية الحكم والإدارة . وهذا يعنى أن نظرة النـاس إلى الوظيفة الحكومية يجب أن تستند إلى نوع من الاحـترام شبيه بذلك الذى يحظى به أصحاب المهن الحرة من أطباء ومحامين وكتاب وعمـال ومدرسين ومن يعملون فى شتى أنواع العيش الشريف . فإذا اعترى السلك الحكومى ما يدفع الناس إلى وصمه بغير النزاهة فإن الأساس الديمقراطى الذى يدعم الدولة والمجتمع يصبح معرضا إلى الانهيار

والوعى يستلزم يقظة مستديمة لمحاسبة المسئولين عن الأمانة الشعبية فى جهاز الحكم والإدارة . فالمسؤولية الإدارية كانت منذ أقدم الأزمنة معرضة للاغراء ؛ وندر أن تجد مجتمعا من المجتمعات القديمة أو الحديثة خلا من هذه المحاسبة . وقد تتخذ هذه اليقظة طابعا حزبيا فى بعض الحالات إلا أنها على وجه العموم تستند إلى طبيعة السلطة وطبيعة السلوك الإنسانى وإلى تأصل القيم الأخلاقية فى المجتمعات مهما تراكم على هذه القيم من الأطمار البالية

إذن فتعريض القيم الأخـلاقية فى الوظيفة الحكومية إلى المحاسبة الحزبية أوالشعبية مسؤولية ديمقراطية ، وحد اجتماعى مها صاحب هذه المحاسبة من نزوات السياسة ومآرب الذين يصطادون فى الماء العكر

وقد وجد أعضاء المجمع الأمريكى للعلوم السياسية والاجتماعية أن دراسة القيم الأخلاقية فى الوظيفة الحكومية اجتهاد يتطلب أكثر من الأمانة العلمية — يتطلب لباقة وسعة صدر تأخذ بعين الاعتبـار نقاط الضعف فى الطبيعة البشرية ؛ وتشعب المسؤولية الحكومية وتعرضها إلى ضغط أو إغراء أسبابها فى تضـارب المصلحة الشعبية العامة مع المصلحة الخاصـة لأرباب النفوذ من علية القوم أو من أرباب المصالح الاقتصادية والسياسية ؛ ومن ثم يتيقن من أن مصادر الشبهات التى تحوم حول المسؤولية الحكومية المهمة ليست مصادر مفرضة . فحقائق هذه الشبهات قد تضيع فى كثير من الحالات فى ثنايا الاجتهاد الخاطئ الذى تنشره الصحافة فى الرأى العام لأسـباب تتعلق بفن السبق الصحفى ونفسية القـارئ وإدراك الصحفى للعوامل المثيرة التى تستجلب انتباه القراء . والناس أميل إلى أن تحمل نوعا من الحسد الدفين لذوى السلطان ومن ثم فى مركز إدارى مسؤول ،

---

[1] The Academy of political and Social Sciences
حلقة مارس ١٩٥٢

والناس أميل إلى تناقل الأنباء السيئة منهم إلى التحدث عن الأمور الحسنة التي ينظر إليها الناس على أنها من تحصيل الحاصل لا تتطلب تعليقا

ومقاييس القيم الأخلاقية في الوظيفة الحكومية هي مقاييس غامضة لا يمكن بالضبط تحديدها على أساس مثالي صادق . فأكثرنا يميل إلى وزن هذه القيم الأخلاقية بمقاييس معينة منها الاختلاس أو الرشوة أو ما شاكلها من أنواع المنفعة المادية . ولكن سوء استعمال المسؤولية الحكومية لا تقتصر على مثل هذه المقاييس فقط ، بل يدخل في نطاقها الوساطة الشخصية لمآرب لا صلة لها بمنفعة مادية للوسيط أو للموظف المسؤول . وهذا يعني أن وزر الاعوجاج يقع على الطرفين . ومن الصعب في مثل هذه الحالات تحديد القيم الأخلاقية إذ أن فيها تقاربا بين مسؤولية الصداقة الشخصية (وهي من القيم الأخلاقية العامة) ومسؤولية الإدارة والحكم

ومن النقاط الطريفة التي أثارها أحد أعضاء المجمع الأمريكي في معرض تحديده لمقاييس القيم الأخلاقية في المسؤولية الإدارية إشارته إلى أن هذه المقاييس تختلف باختلاف الزمان والمكان والمجموعة الإنسانية التي تنفذ فيها المسؤولية الإدارية

ففي المجتمع الريفي الشرقي مثلا تتخذ رشوة صاحب المصلحة للموظف المسؤول طابع « الهدية » والاعتراف بالجميل والود الخالص والاحترام والتقدير . وهذا النموذج من نماذج السلوك الريفي يتخذ في المدن لونا مغايرا . فصاحب الحاجة في العاصمة حين يقدم للموظف « هدية » نقدية كانت أم غير ذلك يدرك تمام الإدراك أنه يتعمد رشوة الموظف المسؤول . فطابع هذه الرشوة لا يوحي إلى صاحب الحاجة باحترام الموظف أو الاعتراف له بالجميل والشكر والتقدير . والموظف نفسه لا يفترض هذا الاحترام . وبين هذين السلوكين الريفي والحضري (ممثلا في عاصمة الدولة) يوجد نموذج ثالث هو بين هذا وذاك . ففي المدن الصغرى يشترك الموظف المعوج مع صاحب الحاجة في تعيين نوع « الهدية » وكلاهما يعلل نفسه بأن هذا التعامل نوع من العادات الاجتماعية ليس طابعها ارتشاء محض أو أمانة مطلقة . وعلى ذلك فإن الصلة بين الموظف المعوج وصاحب الحاجة في هذا النموذج من السلوك المدني صلة « تجارية »

وهكذا نرى الصعوبة في تحديد مقاييس القيم الأخلاقية للوظيفة الحكومية وللوعي المدني ما دام للعوامل الاجتماعية ولنماذج السلوك صلة وثيقة بهذه المقاييس — صلة تتعارض في بعض الحالات مع النظرة الأخلاقية الصرفة

والعلاقة بين المسؤولية الحكومية والوعي المدني ذات صلة بجدل قديم العهد بالفلسفة وعلم الاجتماع . فمن قائل بأن عناصر النزاهة والأمانة في الفرد قد يقدر لها أن تظل خالية من الشوائب لولا تعكير المجتمع الفاسد لها ، على اعتبار أن للمجتمع شخصية « فردية » مستقلة عن شخصية الأفراد الذين يشكلونه . ومن قائل بعكس ذلك

فالنظرية التي تعتبر الإنسان فاضلا في فطرته معرضا للفساد حين يتأثر بالصلات التي تفرضها عليه علاقته الأبدية بالمجتمع — هذه النظرية تتلخص فيما يلي : كلنا معرض للخطيئة ؛ وأكثرنا تعرضا أولئك الذين لهم نفوذ وسلطان . وقد يقدر لنا أن نعصم أنفسنا عن الحرام لولا أن طبيعة النفوذ والسلطان التي توفرها الظروف لبعضنا تجعله عرضة للاغراء وهدفا مستمرا له

ثم إن هناك النظرة الميكيافيلية لمسؤولية الحكم ، ولمقاييس القيم الأخلاقية . وهذه النظرة لا تزال تشكل عنصرا هاما من عناصر السلوك السياسي والإداري في كثير من المجتمعات والنظم — ديمقراطية وغير ديمقراطية — على رغم أن الجميع يرمون ماكيافلي بالكفر والإلحاد السياسي . ونظرية ماكيافلي تقول بأن رجل الحكم حين يوكل إليه تنفيذ مسؤولية إدارية يشعر بأنه ملزم بأن يفعل ذلك في ظروف تستوجب مراعاة نواحي الضعف والقوة في الطبيعة البشرية ؛ فليس من الحكمة والصواب — في رأي ماكيافلي — أن نزن رجال الحكم بمقاييس أخلاقية مستمدة من نظريات مثالية ينقصها الاختبار العملي بطبيعة السلوك الإنساني في مادته الخام . فما دام رجل الحكم قد تولى المسئولية ومارسها برضى الناس فلا مفر له من أن يعالج الأمور ونصب عينيه أهواء الناس وحقائق طبائعهم البشرية ، وهي حقائق لا تقاس في بعض الحالات بمقاييس القيم الأخلاقية

الفاضلة ، والنظريات المثالية الرفيعة . ويرى — ماكيافيلى — أن رجل الحكم وصى على أمور الناس ، فإذا واجه ضغطا من بعض هؤلاء الناس لتنفيذ غير ما نصت عليه الشرائع والأمانة الإدارية فإنه يفعل ذلك تلبية لأهواء هؤلاء النـاس أو على الأقل أهواء نفر منهم ذوى حول وقوة ونفوذ . والنفع الذى يجنيه رجل الحكم حين يحيد عن القانون المدون فى أغلب الحالات أقل فى ناحيتها المادية من النفع الذى يجنيه الحزب أو الوسيط أو صاحب الحاجة . وعلى ذلك فإن عواقب الاعوجاج فى السلوك الحكومى تقع فى أغلب الحالات على صغار رجال الإدارة لأنهم لصغرهم (فى النفوذ والمكانة والدخل) أميل إلى تقبل الإغراء فى صفقة يكون النصيب الأكبر من الربح فيها عائدا على صاحب الحاجة . وهذا الاعوجاج إذا مارسه كبار رجال الإدارة والحكم كان نفعه عليهم أعم واستفادتهم منه أعظم

ورجل الحكم الذى يفوز بحصة الأسد من سوء استعماله للأمانة الحكومية يكون عادة رجلا نافذ المكانة مهابته تفوق أهمية الوظيفة الحكومية التى يشغلها . وصاحب الحاجة من أفراد الأمة حين يحاول أن يتغلب على الأمانة والنزاهة الحكومية يعلم أنه يرتكب نوعا من الجريمة عقابها كامن فى طبيعة الصفقة ؛ وهذا الارتكاب يفرض على صاحب الحاجة المغامرة والإقدام . والمقامر لا يرضى عادة بالربح الطفيف ويترك حصة الأسد الموظف الذى اشترك معه فى الإجرام . فإذا كان هـذا الموظف ذا مكانة ونفوذ (اجتماعى أو سياسى أو مالى) تفوق حدود وظيفته كان نصيبه فى النفع من الصفقة نصيب الأسد

وهكذا يتبين لنا حقيقة طالما تجاهلها النـاس فى معرض حديثهم عن الاعوجاج فى الخدمة المدنية ومن الانحلال فى القيم الأخلاقية لبعض رجال الإدارة والحكم ؛ وهى أن وزر الاعوجاج فى تنفيذ الأمانة الشعبية يقع قسطه على الموظف وعلى صـاحب الحـاجة من المواطنين . والقسط الأكبر من النفع الذى يصيبه الموظفون المعوجون يذهب إلى « الكبار » بينما الوزر يقع فى الغالب على صغار المسؤولين الذين أساءوا استعمال الأمانة

وإلى أن يدرك المواطن أن الوزر فى سـوء استعمال الأمانة الحكومية يقع عليه كما يقع على الموظف المعوج — كبيرا كان أم صغيرا أم متوسطا ! — فإن دراسة القيم الأخلاقية ومحاسبة الوعى المدنى لها ستظل عديمة الجدوى . ومع أن القـانون يدين كلا الطرفين بالإجرام إلا أن الرأى العام يميل إلى تركيز التهمة على الموظف ويتجاهل اعوجاج المواطن ، وكما أنك لا تستطيع أن تقدر القيمة الفنية للصورة الجميلة إلا إذا كان لديك استعداد ثقافى معين فإنك لن تستطيع أن تقدر شناعة الانحلال الخلقى فى الوظيفة الحكومية إلا إذا أشركت المواطن المعوج فيها ووفرت لنفسك ثقافة « مـدنية » تعينك على إدراك الصورة الكاملة لشناعة الإجرام . وهذا ما يتطلبه الوعى المـــدنى الصادق فى المجتمع السليم

نيويورك **عمر حليق**

هل كان الزهاوى فيلسوفا ؟

للأستاذ محمد رجب البيومى

قرأت المقال الرائع الذى كتبه المستشار الفاضل الأستاذ محمد سالم الخولى عن أثر « الرسالة » فى الأدب الحديث ، وقد اغتبطت كثيرا بما نم عليه من رأى صائب ، واطلاع دائب ، وذوق سليم . وليس ذلك عجيبا ، فالأدب يمت إلى القانون بأوشج الصلات وآكدهـا ، فهو عدة المحامى اللسن ينمق به الدفاع ، وسلاح القاضى المتمكن يدبج به الحيثيات، ولن ترى فقيها مرموقا لايستند إلى بلاغة الحجة وقوة البيان

وقد لاحظت أن الأستاذ يقول عن الزهاوى رحمه الله أنه الفيلسوف الشاعر وليس الشاعر الفيلسوف ! وذلك قول تختلف فيه الآراء ، ويفسح مجالا للمناقشة والتعقيب ، إذ أن الشاعرية أصل فى جبل ، قام عليها بناء مجده وخلوده ، وكان للفلسفة ظلال خفيفة تتراقص فى أبياته ومقالاته ، ولكنها لا تصبغ إنتاجه بطابعها الدقيق ، فظل الزهاوى طيلة حياته شاعرا يتشوف إلى الفلسفة ، وقد يوجد من ينعته بالشاعر الفيلسوف على ضرب من التجاوز يدفع إليه الإطراء والتقدير ، وقد يكون هذا مقبولا جائزا ، أما الذى لا يقبل بحال فهو أن يكون الزهاوى فيلسوفا شاعرا كما ذكر الكاتب الكبير

وحين نتعرض لجلاء هذه الحقيقة نذكر أن كلمة « الفلسفة » قد فقدت مدلولها الصادق عند كثير من الناس ، فأنت تجد من يطلقها على كل مبهم غامض من القول ، ومن يقف بها عند البحوث الشائكة التى تتعلق بالقدر والإله وما وراء الطبيعة ، كما تجد من يطلقها على الحكم السائرة ، أو الأمثال العابرة ، حتى جاز أن يكون شعراء الحكم والمواعظ فلاسفة متأملين ، ولو علمنا أن الفلسفة هى البحث عن حقائق الأشياء فى شتى مناحى الكون ، لاتضح لدينا أن كثيرا ممن نزعمهم فلاسفة شعراء ، لا يصدق عليهم الزعم فى قليل أو كثير

ومن البديهى أن الفلسفة لم تكن — مرة واحدة — علما — كما يقول الأستاذ مهدى علام [1] — فى أساطير القصاص ، وشعر الشعراء ، وأقوال الحكماء ، ثم اجتازت هذه الرحلة على جسر من أنصاف الفلاسفة ، حتى وصلت إلى أيدى أساتذة الفكر وسادة العقل البشرى فأصبحت ذات مذاهب دقيقة ، ومدارس متشعبة تكد الأذهان وترهق العقول

فهل كان للأستاذ الزهاوى مذهب خاص يدعو إليه ، ويقيم الأدلة على صحته ، ، حتى يكون فيلسوفا يتبوأ مكانه بين الفلاسفة الخالدين ؟ !

إننا نبحث فى إنتاجه — النثرى والشعرى معا — فلا نجد غير مجموعة متناقضة من الآراء ، وقسطا وافرا من الشكوك العقلية ، لا تجد من يذهب بها إلى الجزم واليقين ، والشاعر حائر مضطرب لا يدرى بأى رأى يتمسك ، وإلى أى سبيل يتجه ؛ فهو من هواجسه فى ليل دامس لا يشرق فيه بدر منير ، وقد دارت أكثر شكوكه حول الموت وما يعقبه من فناء أو خلود ، فأكثر من الحديث فى ذلك دون أن يجزم برأى يظهر اتجاهه ، ويكشف عقيدته ، فقد تقرأ له القصيدة فتظن أنه من الماديين الذين ينكرون خلود الروح ، فإذا انتقلت إلى قصيدة أخرى رأيته يتشبث بالفكرة الإسلامية فى الخلود والبقاء ، ثم تقرأ قصيدة ثالثة فتجده فى حيرة دامسة بين الرأيين السالفين ، يذكرهما فى شك وتردد ، دون أن يعتصم برأى خاص يجهر به ، ويصرح باعتقاده ، وما هكذا الفيلسوف الصادق ، بل إنه صاحب المذهب الفكرى الذى يقيم بناءه على دعائم قوية من الأدلة والبراهين ، وقد نلاحظ صلات واضحة بين ما قاله أبو العلاء وما نظمه الزهاوى ، فكلا الرجلين عريق فى هواجسه وظنونه ، ينفى ويثبت ، ويلحد ويستنفر ، ويجزم ويتردد ، وقد أطلق المؤرخون على المعرى ما أطلقه المحدثون على الزهاوى ، فكان الأديب الفيلسوف ، على ضرب من التجاوز ، ولم يكن الفيلسوف الأديب ، وأذكر أن الأستاذ أمين الخولى قد كتب كتابه « رأى فى أبا العلاء » ليجرده من الفلسفة ، ويقصرها على أصحابها الفكرين ، وقد ذكر مجموعة كبيرة من لزوميات أبى العلاء ، تظهر تناقضه الصريح فى جميع ماذكره من المعانى والآراء...فهو يقول فى الموت

(١) فلسفة المتنبى : للأستاذ مهدى علام

والقدر والروح والإله وغيرها أشعارا متضاربة ينقض البيت أخاه ، والكلمة سابقتها ، حتى لا يستقر بقارئه على موضع ، ثم خرج الأستاذ الخولى بالنتيجة السافرة التى تنفى أن يكون من التناقض والاضطراب والتردد والحدة مذهب فلسفى يدعى صاحبه بالفيلسوف

وسنفحص أقوال الزهاوى على ضوء ما كتبه الأستاذ فى أبى العلاء لنصل إلى ما وصل إليه من نتائج ، وحين نفعل ذلك لانظلم الزهاوى فى شئ ، بل ننصفه من الفلسفة وننصف الفلسفة من أناس فهموها على غير وجه صحيح ، فلقد حسب كثير من القراء فى عصرنا الحاضر ، أن كل كلام يقال فى القدر والحياة والموت يمت إلى الفلسفة بنسب عريق، ومن ثم فقد ظهر لدينا ألوف من الشباب ، يتساءلون فى قصائدهم عن سر الحياة ، ورهبة الموت ، ومن أين نجئ ؟ وإلى أين نذهب ؟ ويعلأون أبياتهم بالدهشة والارتباك والذهول ، ثم يحسبون بعد ذلك أنهم فلاسفة شعراء ، مع أن هذه الأفكار التى تجد مجالها فى عقولهم كثيرا ما تتردد فى أذهان العامة والأميين ، فهل صار هؤلاء جميعا بتساؤلهم الحائر فلاسفة مفكرين ؟ ! كلا أيها القوم فالفلسفة لا تستند إلى الأوهام والتناقض ، ولكنها تستند إلى الجزم والثبات ، ونحن نعلم أن من الفلاسفة من بنى فلسفته على الشك فى الحقائق ، ولكن الشك شئ ، والتناقض والتردد شئ آخر دون نزاع

ولابد لنا أن نذكر مثالا من شعر الزهاوى يوضح قلقه الذهنى ، وتبلبله النفسى ، وتردده فى مجاهل اللوعة والحيرة ، وأقرب شاهد لدينا ما ذكره فى مصير النفس بعد الموت ، فقد أطال فى ذلك إطالة تدعو إلى السأم والاستخفاف ، وما تكاد تقرأ له قصيدة حتى تستشف أوهامه الحائرة ، وهواجسه المضطربة ، فوجه بذلك أذهان الشبيبة الشاعرة إلى ما عرفوا فيه من التخرص والظنون ، وأصبح المتأدبون من بعده ينهجون نهجه، زاعمين أنهم مثله ، فلاسفة شعراء ! وقد ارتاع أستاذنا محمد فريد وجدى لهذه النوازع الإلحادية ، متى تسممت بها قصائد الشباب فى فترة من الزمان ، فكتب إلى الأستاذ الزهاوى خطابا مفتوحا ، على صفحات جريدة السياسة (وقد كانت مسرحا لنوازعه المادية) يرجو أن يناقشه نقاشا علميا أمام القراء لتتضح الحقيقة للعيان بعد الجدل والتمحيص ، فاعتذر الزهاوى ولم يجد لديه من الأسلحة العلمية ما ينازل به فريد ، وعلة ذلك واحدة ، فالشاعر إذا نظم قصيدته لا يتقيد بمنطق دقيق بل يرسل آراء فى جو شعرى يستثير العاطفة والانفعال ، ويحيطه الوزن العروضى بضرب من النغم الموسيقى الخلاب ! أما الكاتب فلزم بمقارعة الحجة ومناهضة الدليل ، ولن ينقذه من الحقيقة بيان ناصع ، ولفظ رشيق

لقد قال الزهاوى فى فناء الروح

يقولون إن النفس حق وجودها ... فلا ينبغى إنكارها وجحودها
فقلت لهم هـذا جميل وعله ... خيالات عقل شارد لا أريدها
ولم يكن الإنسان إلا ابن غابة ... على فجأة قـد أنجبته قرودها

فاذا يرى القراء فى هذه الأبيات ، إنها مثال من عشرات الأمثلة التى تؤكد فناء الروح ، وقارئ الزهاوى يجد نظائره فى دواوينه ، ورباعياته ، فهل استقر الشاعر على هذا الرأى لتدرك نزعته المادية ، ونضمه إلى فريق معين من الناس ، كلا ، فالشاعر يعلن ما يناقض ذلك حين يقول

فيانفس سيرى فى الفضاء طليقة ... فلا شئ فيـه للنفوس يعوق
لأنت شعاع طار عن مستقره ... وكل شعاع بالبقـاء خليق
تحيق المنايا بالجسوم كثيفة ... وأما بأرواح فليس تحيق

فا رأى القراء مرة ثانية فى هذا القول ؟ ألا يقف من سابقه موقف النقيض ! على أن الشاعر لا يريح نفسه بعد ذلك ، بل يفعمنا بوابل من التردد المتذبذب بين هذين المثالين ، فهو يعلن مرة ثالثة خفاء مذهبه بين القول الأول والقول الثانى، ويجهر بأن الدليل يعوزه فى ترجيح أحدهما على الآخر ، ويغرق فى شكوكه واضطرابه ، فهو من هواجسه فى بيداء مجهل تتقاذفه الكثبان والأودية وتشرد به المنعرجات والسهوب

وإنك لتلمس اضطراباته وبلبلته فى مثل قوله

قالوا وراء الموت أهـوال ولم ... أحفل بمـا قالوا ولم أتيقن
ولعل هذا الموت يتبع رحلة ... للروح خالدة وراء الأزمن

وقوله

إنى ملم بأخبار الحياة وما ... عندى سوى الظن علم بعدها خبر
ما بال ليلتنا سوداء حالكة ... فهل تقدر ألا يطلع القمر

وقوله

أتحسب أن النفس بعد منيتى ... تطير بهــذا الجو شبه قطاة
أم النفس من بعد المنية ريشة ... تقاذفها الأرواح فى فلوات
أم الروح بنت الكهرباء مصيرها ... إلى هدران أفلتت وشتات
على أننى ماض إذا صاح بى الردى ... وآت ، وماض بعد ذاك وآت
خلال دهور مالها من نهاية ... بسلسلة موصولة الحلقات

والأمثلة السالفة وأكثر هواجس الزهاوى لا تخرج عن قول أبى الطيب المتنبى

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم ... إلا على شجب والخلف فى الشجب
فقيل تخلص نفس المرء سالمة ... وقيل تشرك جسم المرء فى العطب
ومن تفكر فى الدنيا ومهجته ... أقامه الفكر بين العجز والتعب

فإذا جاز لنا أن نعتبر المتنبى فيلسوفا ، فالزهاوى إذن فيلسوف !

وقد كان الزهاوى حينا من الدهر أستاذاً للفلسفة بالآستانة ، فمن المؤكد أنه درس كثيرا من الآراء الفلسفية ، ومدرس الفلسفة لا يكون فيلسوفا ، وإلا لجميع أساتذتها بالمدارس والمعاهد والكليات فلاسفة مفكرون ، ولن يصدق هذا أحد من الناس

وقد يقول قائل إن الزهاوى قد ألف كتبا علمية هامة ، ونشر فى المقتطف والمقطم أبحاثا طبيعية ، ونحن نعترف أن هذه الكتب تضع الزهاوى فى صفوف العلماء لا الفلاسفة ، وتنبئ عن جدارته العقلية ، وملكته الفكرية ، كما أنها لم تخل من مطاعن تتجه إلى دعائمها الثابتة فتحيلها إلى أنقاض ، فكتاب « الكائنات » مثلا يقوم على أن الأثير أم الكائنات تتولد منه القوى البسيطة ، فترتقى إلى أن تكون مادة ، والمادة ترتقى إلى أن تكون عناصر ، والعناصر ترتقى وتتركب فتكون أحياء منها الإنسان والحيوان ، وغير خاف أن الأثير شئ افترضه العلماء افتراضا ، فكيف يكون نواة الحياة والأحياء فى هذا الوجود ، وكتاب الجاذبية للزهاوى يطلعك على عجائب وهمية تتصل بالدماغ والإشعاع والنور والتصور ، وقد أكون ممن لا يستطيعون الحكم على أقوال الزهاوى العلمية ، فلست ممن يتعمقون فى البحث الطبيعى ، ولكنى أقول إن الزهاوى قد أثبت بكتبه فى الطبيعة أنه عالم لا فيلسوف ، ويجمل أن نشير إلى بحث هام نشره الأستاذ محمد فريد وجدى بمجلة الأزهر سنة ١٣٥٦ ، مؤيدا بالأدلة التى تجرد الشاعر من الفلسفة دون تحيف أو إنقاص

لقد كان الزهاوى شاعرا فحلا يطيل القول فيجيد ، وهو من كبار المجددين الذين سنوا للشعر مناهج طريفة وطرائق جديدة؛ كما كان صاحب رسالة إصلاحية فى المجتمع يدين بها ويكافح عنها ، وقد قاسى بسببها آلام السجن والاغتراب ، ولن يضير مجده الأدبى ألا يكون فيلسوفا ، فهو من أدبه الرفيع فى قمة عالية وحصن منيع

محمد رجب البيومى

عرض سريع عن

تاريخ النهضة الفكرية في السودان

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصري

إذا أردنا التحدث عن تاريخ النهضة الفكرية في السودان فإننا لا نجد بأيدينا من الأدلة ما يكفينا للاستدلال على المعالم الواضحة التي تنير لنا الطريق أو توصلنا إلى الحجة ، فالخطوط الرئيسية مطموسة المعالم يكتنفها الغموض ويحيط بها الضباب من كل جانب؟ فنحن إذن نسير في سبيل ملتاث وفي ظلام دامس غير منار ، ذلك لبعد الشقة بين الأمس واليوم ، ولانعدام الصلة بين الماضي والحاضر ، ولعدم وجود رابطة بين العهدين القديم والحديث ، وستظل الحلقة مفقودة إلى أن يهيئ لها الله باحثا سودانيا ينقب بجد ليكشف لنا السر المختفي وراء أطلال الماضي البعيد

وإذا أردنا الرجوع إلى الماضي فليس لدينا ما يثبت صحة قولنا غير أحاديث يتناولها الناس في مجالسهم الخاصة ، يقتلون بها الوقت أو يتسلون بها لينقلها الخلف عن السلف ، وهي أشبه ما تكون بأحاديث الرواة في العصور الأولى من صدر الدولة العباسية .. وهذه الأحاديث ينقص بعضها الثقة وبعضها السند .. على أنني تمكنت بواسطة اتصالاتي ومراسلتي مع إخواني أدباء وشعراء السودان أن أجمع مادة لبحثي هذا الذي أقدمه للقراء ، وخصوصا أبناء البلد الشقيق ، راجين منهم إيضاح ما فات عني ، ولاستدراك ما قد سهوت عنه

بدء النهضة

تبدأ النهضة الفكرية في السودان منذ العهد التركي أي منذ سنة ١٨٢٠ م ، وكانت الثقافة آنذاك تحبو وتتعثر ، إلى أن هاجر بعض أبناء الجنوب إلى مصر والتحقوا بالأزهر الشريف حيث أتموا دراستهم ثم عادوا إلى بلادهم يحملون طلائع نهضة جديدة ، ولكن مهمتهم كانت مقتصرة على الوعظ والإرشاد والترنم بالمدائح النبوية ، ونظم كل ما له علاقة بالدين الإسلامي . على أن ذلك لم يمنع من التفاخر بالأمجاد . وكانت الحالة آنذاك في السودان غير مستقرة ؛ فالعصر عصر حروب واستبداد ومظالم وإرهاب وثورات داخلية وانحرافات خلقية ، بل كانت الفوضى منتشرة في القطر ، فمن فتك إلى سلب ونهب إلى تخريب إلى إقطاعية شاذة وعسف لا يطاق ، وكيف تستقر الأمور في بلد كالسودان إذا كان الجهل باسطا جناحيه على السكان ، والوعي القومي في مهده ، والشعور بالحرية مقبور . فلهذه الأسباب لم تكن العوامل آنذاك مشجعة للنهوض بالأدب ، لأن الطغيان التركي كان يحطم كل شئ ويسيطر على كل مرافق البلاد ، حتى اللغة العربية كانت متفككة الأوصال ، يكاد الدود العثماني اللعين ينخر جسدها المنهوك ويخترم عمرها وهي في الشباب

وظل السودان على هذه الحالة من العسف حتى سئم الناس المظالم ، فولد الثورة في النفوس التي تمخضت عن انقلاب شامل قامت على أثره حكومة المهدي — المهدية — التي ظلت تحكم البلاد زهاء ستة عشر عاما ، إلى أن تم الفتح الأخير على أيدي الإنكليز والمصريين في سنة ١٨٩٨ م ، إذ أبرمت الاتفاقية الثنائية لحكم السودان على النظام الحاضر

ورب قائل يقول : إذن كيف كانت الاتجاهات الفكرية في العهد «المهدوي» ؟ أقول : لم تكن هناك اتجاهات أدبية وفكرية بالمعنى المفهوم الواضح نستطيع أن نتحدث عنها أو نسجل بعضها ؛ إذ كل ما وصل إلى أيدينا من نتاج ذلك العهد هو أن الأدباء والشعراء كانوا يقصرون إنتاجهم الفكري على المدح والتغني بالأمجاد ، وكل ما نظموه لا يتعدى حدود الدين والشريعة ، وقد كان أكثر شعرهم نظما شبيها بألفية ابن مالك ومدائح البرعي في الرسول الأعظم

وهكذا استمرت الحال حتى دارت عجلة الزمن دورتها البطيئة إلى أن وقفت أمام عام ١٩٢٤ م ، حيث تمخضت البلاد عن ثورة أخمدت في مهدها ، ولا أريد أن أتحدث هنا عن الثورة ،

أذكر الأستاذ الشاعر عبد الهادي مراد محمد ، على المعلومات القيمة التي كانت نواة هذا المقال

ولـكنى أحب أن أعرج على نفسية شباب ذلك العهد الذى يعتبر نقطة تحول بالنسبة للسودان من جميع النواحى ، وإيضاحا للحقيقة نقول : إن ذلك العهد بشبابه المتوثب الثائر ، كان فترة انتقال من عهد الجهل والخمود إلى عهد اليقظة والعلم والمعرفة

ففى تلك الفترة كان اتصال السودانيين بمصر الشقيقة وثيقاً ، حيث أخذت الـكتب والمؤلفات المصرية تغزو الأسواق فتتلقفها أيدى القراء ، وتقبل عليهـا النفوس فى لهفة وشوق لتروى عطشها إلى العلوم والمعارف ، وفى الحق أننا نستطيع أن نقسم ذلك العهد إلى أقسام ثلاثة هى :

١) التعليم :

كانت المدارس فى ذلك الحين قليلة العدد ، وكان باب التعليم مقصوراً على فئة قليلة معينة من الناس

٢) الصحافة :

أما الصحافة فقد كانت متأخرة وقليلة ، إلا أنه كانت هناك صحف تعنى بالأدب وبالنتاج الفكرى ، وأهمها مجلة «الفجر»(١) التى كانت كما قيل لى قد لعبت دورا خطيرا فى تاريخ السودان الأدبى ، إذ خلقت ثورة أدبية لأنها كانت المنبر الوحيد لتجاوب المواهب والعبقريات المختلفة الأشكال والثقافة ، ثم جريدتى «النيل» و «الملتقى»

٣) التأثير الرسمى للثقافة :

لما كان السودان تحت الحـكم الإنجليزى ، والإنجليز يعدون أنفسهم مستعمرين وحاكمين ، فطبيعيا تكون سياستهم مناوئة لنشر الثقافة ، بل هم حاربوا العلم وسعوا فى الحد من ذيوعه ، حتى أنهم أخذوا يطاردون كل أديب متحرر وشاعر يفكر فى طردهم من البلاد ، أما تلك الحركات الأدبية والجولات القلمية التى ربت الجيل الجديد ، ما كانت إلا نتيجة للصراع الفردى الذى بذله أحرار الفكر والعقيدة فى السودان لخلق نهضة فكرية واتجاه ثقافى وأدبى مشرق الصحات ، بارز القسمات ، إذ أنهم شعروا بضرورة العمل على خلق تلك النهضة لتؤدى خدمتهـا إلى أبناء البلاد كما ينبغى ، وإذا ما ظهرت هناك جمعيات أدبية فمعنى هـذا أن الاستعمار فى خطر ، لذلك كان الإنجليز يحاربون كل جمعية ، حتى ولو كانت غير سياسية ، على أنه رغم ذلك تأسست جمعيـة « اللواء الأبيض » ، وهى سياسية الغايات والأغراض ، ولعبت دورا هاما فى ثورة عام ١٩٢٤ ، ثم جمعية « أصدقاء الفجر » ، وهى أدبية القصد

ثم قام مؤتمر الخريجين ، وكانت غايته أدبية اجتماعية ، وقد فتح المؤتمر عدة مدارس أولية ومتوسطة وواحدة ثانوية . وكان المؤتمر يعد العدة كل عام لقيام المهرجان الأدبى الذى كان يعقد فى « أم درمان » الجزء الثالث من العاصمة ، والأبيض وعطبرة ، وأخيرا تطور المؤتمر وأعلن عن أهدافه السياسية (٢)

ثم ولدت بعد ذلك الأحزاب السياسية المختلفة ، وأنشئت الجرائد الحزبية التى لم تعد تهتم بغير المهاترات السياسية السخيفة التى لا طائل تحتها ، والتى كانت السبب فى موت الأدب وخنق قابليات الأدباء والشعراء

ومنذ سنة ١٩٤٦ اتجه السودانيون نحو السياسة وخلفوا الأدب وراءهم غير مهتمين بكل ما يمت إلى الفن بصلة فالخطب السياسية والقصائد الحماسية هى اليوم تدور على ألسنة الناس ، وهى التى تمتلئ بها أعمدة الصحف ، وإنهـا لو جمعت فى كتاب واحد لـكانت تعطى فكرة عن الأدب السياسى السودانى الآن

---

(١) لم أطلع على مجلة (الفجر) وأكون شاكرا لإخوانى أدباء السودان لو تكرموا بإرسال أعداد قديمة منها إلى

(٢) جاء فى الصفحة « ٩١ » من كتاب « ماذا فى السودان » لمؤلفه الأستاذ جمال الدين الحامصى :

« فى هذه المدينة الصاخبة (أم درمان) ، وفى مكان بعيد عن الضوضاء يقوم نادى الخريجين « والخريج » فى السودان معناه مثقف متخرج من مدارس السودان أو الى فى مستواها ، وترجع الفكرة فى إنشاء هذا النادى الى ما قبل الحرب العالمية الأولى ، ولـكن الفكرة فى أول ظهورها لم تجد تأييدا — بل حوربت — من حكومة السودان ، ولـكن هذه الحرب لم تحل دون معاودة الـكرة مرة بعد أخرى حتى نجح الخريجون فى اقناع ولاة الأمر ، فبرز نادى الخريجين الى الوجود . فى أعقاب الحرب العالمية الأولى ، وقد ساعد على ابراز الفكرة المستر سمبسون الذى تولى مراقبة التربية البدنية بوزارة المعارف المصرية الى وقت قريب ، وهو الذى وقف فى حفلة افتتاح النادى وقال : « ان هذا النادى الذى يفتتح اليوم ليجتمع بين جدرانه كل مثقف سيكون له أكبر الشأن فى مستقبل السودان السياسى » . ولقد تحققت نبوءة الرجل ، وأصبح النادى اليوم مركز النشاط السياسى الكمى فى السودان

ولـكن رغم انحراف الناس وراء السياسة ، وحبهم للجدل السياسى ، لا يزال بعض الشباب المتوثب يولى الفن الصادق والأدب الرفيع أهمية بالغة ، وكما أنه لا يخلو كل قطر من بعض الشعراء النابهين ، فإن فى السودان كذلك فئة من شعراء الشباب الأفذاذ ، وسنعرض لهم بالتفصيل فى مقال قادم إن شاء الله

ماذا ينقص السودانه

بكل ألم وأمل نلاحظ أن السودان لا يزال متأخرا عن القافلة الأدبية العربية ، بل فى حاجة إلى كتاب ثائرين يجمعون بين قوة الفكرة واتساقها إلى جمال الأسلوب وقيمته ، كتاب ينقطعون للدراسات الأدبية والتأليف ، ويخرجون من الكتب ما يحمل طابع بلادهم الأصيل

كما يراد من أدباء السودان أن يطرقوا باب الثقافة الشعبية عن طريق المحاضرات والمدارس الأدبية التى تعلم العلوم العقلية ، والتى تربط بين طبقات الشعب عن طريق حياة جماعية مشتركة ، والتى تنمى فى نفوس أبناء الأمة روحا من المساواة الاجتماعية ، وتمنحهم إلهاما ومثلا إنسانيا رفيعا يؤدى إلى تطور اجتماعى لا يقوم على نضال اقتصادى بين الطبقات ، تثيره الأطماع المادية وروح الشر والقسوة والجدب الروحى

الشعر السودانى

من الإنصاف للواجب والإثبات للحقائق أن نقف لحظة نتناول فيها الشعر السودانى بكلمة . وهى أن الباحث الذى يقرأ كتاب « شعراء السودان » ، الذى جمعه الكاتب المصرى سعد ميخائيل منذ سنوات ، يلاحظ أن الشعراء المذكورين فى ذلك الكتاب لا ذكر لهم الآن ، ولذلك عدة أسباب : فمنهم من مات، ومنهم من انغمر فى الحياة فهجر الشعر ، ومنهم من حطمته قيود الوظيفة ، وبعضهم لم تساعده الظروف المالية على طبع ديوانه ونشره حتى اليوم . لأن السودان — وهو كالعراق تماما — يفتقر إلى الناشر ، إلا أن بعضهم — وهم الشيوخ … ظل مستمرا على النشر ، كالأستاذ « محمد سعيد العباسى » الذى كتبت عنه فى عدد سابق ، و « الأستاذ عبد الله عبد الرحمن » [3] و « التيجانى يوسف بشير » [4] ؛ أما الشعراء الشباب المعاصرون — وهم كثر بحمد الله — فأترك البحث عنهم إلى مقال مستقل ، لأن روحيتهم وأسلوبهم الفنى يختلف بكثير عمن ذكرتهم ، وهؤلاء جميعا يطلب منهم أن يكونوا أكثر جرأة من غيرهم ، فليقتحموا الحياة بجرأة وعزيمة صادقة ، وليقفوا أمام العالم العربى ويظهروا نتاجهم للناس ، غير عابئين بناقد أو حاسد ، وإلا فإن انطواءهم على نفوسهم معناه الموت والضياع ، لا سيما وأن فيهم من يبشر شعره بالخير العميم والعبقرية الكامنة وراء زوايا النسيان . .

(٣) لست أدرى هل للأستاذ شعر مطبوع بين دفتى ديوان أم لا ، فإنى لم أطلع إلا على بعض قصائد بين ثنايا الصحف

(٤) صاحب ديوان اشراقة وقد كتبت عنه فصلا فى مجلة الرسالة قبل أسابيع

بغداد — أمانة العاصمة عبد القادر رشيد الناصرى

حركة التسلح الخلقي

بمناسبة الاشتراك في مؤتمرها بمدينة «كو» بسويسرا
في شهري يوليو وأغسطس سنة ١٩٥٢

للأستاذ أحمد عوض

نشرت في عدد سابق [١] من الرسالة الغراء كلمة عن «التسلح الخلقي والإسلام» تحدثت فيها عن أهداف هذه الحركة التي تدعو إلى الخلق الفاضل على أساس ديني وتمدح من بين وسائلها الفضائل الإسلامية، وتعين من بين الأهداف التي تحاربها النزعات الاستعمارية

كتبت هذا لأنني حضرت بعض مؤتمرات «التسلح الخلقي» في الأعوام السابقة، وسمعت صاحب الفكرة يشرحها شرحاً وافياً بما يتفق وديننا. ولأنني قرأت في أدب القوم مايسوغ حسن الظن بهم. وقلت فيما قلت بتلك الكلمة إنهم وإن كانوا من أبناء أديان أخرى فإنهم فضلا عن التمدح بالخلق الفاضل في ديننا وفضلا عن حربهم للاستعمار فإن بيننا وبينهم غرضا مشتركا هو محاربة الإلحاد والشيوعية والاستعمار على حد سواء

ولكني بعد ذلك زرت «كو» في شهري يوليو وأغسطس، ولست أدري هل تغيرت أهداف هذه الحركة أم اندس عليها من يحاولون استغلالها؟ ولكن الذي أدريه أن شعوري بين الحالين نحو هذه الحركة — لا مبادئها — كان ظاهر الاختلاف

لقد وجدت في رحلاتي الأولى من يستشهد بآيات من كتابنا الكريم ويمجد ذكرى نبينا العظيم ويرجو لنا وللعالم التحرر بفضل ما في هذا الكتاب من آيات بينات وما في هذا الرسول من أسوة حسنة

ووجدت كما وجد غيري من المصريين وسائر المسلمين أن المذهب الداعي إلى تجديد بناء العالم على أساس الفضائل الخلقية يتفق مع تعاليم ديننا — في حين لا أجد في سائر مظاهر الحياة في الغرب من يقدرنا هذا التقدير، ولا من يبدي لنا مثل هذا الشعور.

وقد جمعت في رحلاتي قبل الأخيرة ما استطعت جمعه من كتب ألفها القوم عن حركتهم فوجدت بينهم أنصاراً لنا ضد الاستعمار يدعوننا إلى مناصرتهم ضد الشيوعية ويرحبون بالفضائل الخلقية في ديننا سبيلا إلى بناء عالم جديد

لقد صرح القوم في كتاباتهم وفي خطبهم بأن الاستعمار والدكتاتورية يتناقضان مع الخلق الفاضل، فكلاهما من مظاهر الأنانية ومن أعداء التطهير، ومن أبعد ما يكون عن فضيلة الحب فضلا عن التضحية

وسمعت في المؤتمر الأسبق داعيا مصريا — هو الدكتور محمد صلاح الدين — يدعو القوم إلى مساعدتنا على المستعمرين بقصد تغييرهم فيجيبه العضو الإنكليزي باعتراف صريح في أنه سيدعو في أمته إلى التغيير (التحرر من الرذيلة)

لكن المؤتمر الأخير كان خاليا كل الخلو من أية كلمة ضد الاستعمار

فلما أردت التوجيه إلى هذه الناحية لمست اتجاها واضحا إلى أن التلويح بمعاداة الاستعمار كان من أجل غرض واحد هو الاستفادة بمعاداتنا نحو الشيوعية، ولم يمنعني ذلك عن الإفاضة في بيان مساوئ الاستعمار. ولكني لم أجد بينهم جدية الأصغاء

لست نادما على حسن الظن السابق فقد كان الدليل قائما لدى على مسوغاته، ولا أزال عند رأيي في أن الخلق الفاضل مشترك بين الأديان وفي أن الدكتور بوكمان مؤسس هذه الحركة رجل فاضل، ولكن هؤلاء الذين اندسوا عليه وأحاطوا به يحاولون استغلال هذه الحركة في أغراض أخرى

إن في الدنيا كثيرا من الحق الذي يراد به الباطل، ومن الزيت الذي يراد به إيقاد النار، ومن استغلال حسن الظن بالتلويح بالخير؛ فهل تغيرت الحركة أم انضم إليها بعض الوصوليين والانتهازيين أو بعض أصحاب المطامع؟ هذا ما ستظهره الأيام

(١) العدد ٩٩٧ من الرسالة في ١١ أغسطس سنة ١٩٥٢

المعرفة بين الفلسفة والتصوف

• مهداة إلى الأستاذ على الطنطاوى الذى كتب يقول : لى من دنياى الآن مطلب واحد . يقظة قلب أدرك بها حقائق الوجود وغاية الحياة

للأستاذ حسن محمد آدم

ما سر الوجود ؟ وما لغز الحياة ؟ من أين جئنا وإلى أين المصير ؟ وكيف السبيل إلى إدراك كنه هذا الوجود ، وفهم غاية هذه الحياة ؟ وما السبيل إلى المعرفة الحق ، والسعادة العظمى ؟ هذه أسئلة عميقة تتفاعل فى رأس الإنسان ، وتدور فى عقول الناس ، ولا يدرى لها الكثيرون أجوبة شافية ، وردودا مقنعة ، فيعيشون فى الحياة قلقين حائرين ، ويضربون فى بيدائها تائهين يائسين ، وكأنى بهم يسيرون فى موكب الإنسانية وهم يترقبون بنفوس قلقة متشائمة ، أن يبتلع الجميع بعد الطريق الطويل..هاوية سحيقة من العدم ! والإجابة على هذه الأسئلة هى فى صميمها المعرفة الحقة ، وهى فى ذاتها عين الحقيقة التى يتوق إليها الجميع ، فأنت إن وفقت للاجابة الصحيحة فقد فككت طلاسم الكون ، وحللت ألغاز الحياة ، ووقفت على سر الوجود والغاية من هذه الحيـاة

ومنذ القدم ، منذ وجد الإنسان الفكر على سطح هذا الكوكب ، حاول الوصول إلى الجواب ، وتمثل ذلك فى فلسفات ونظريات متباينة تعددت وتنوعت على أعصر التاريخ ، ولكنها جميعا ظلت عبر القرون تتأرجح بين مذاهب متضاربة ، ومدارس متعارضة ، يقترب بعضها من الحقيقة أو يبعد بقدر ما أوتى الفلاسفة من نضج فى الفكر ، وقوة فى التبصر ، وإمعان فى التأمل والحكمة

وكان حين تأتى على الناس فترات من الوحى ، تشرق عليهم أنوار النبوات ، فيتبدد عنهم الظلمات ، ويستنير ماغم من طريق الحياة ، ويذهب الشك والارتياب ، ويتضح على هدى الرسالات سبيل المعرفة ، ولكن رأى الدين فى الوجود والحياة لون مفروض من المعرفة ، عليه الوحى وتلزم به العقيدة ، وهو تصديق بأمور من الغيب ، تصديقا لا يحتمل النقاش ، ولا يقبل الجدال ، يحمل الناس على اعتناقه سواء وافق ذلك منهم هوى العقل الطليق أم خالفه ، أوجارى منهم منطق التفكير الحر أم جافاه

فما كان للفلسفة أن تقتنع بهذا وهى ناصرة الفكر الحر ، وصانعة مناهج البحث ، فرأت أن تحرر نفسها من أكبال الغيبيات ، وأن تنهج على منهاج العقل علها تصل بذلك إلى المعرفة وتدرك الحقيقة وتفهم غاية الوجـود.. وبدأ الزمان يسجل على صفحات القرون وخرج لنا تاريخ الفلسفة زاخرا كما أسلفنا بما من المذاهب الفلسفية والآراء النظرية فى الوجود وفى الحياة ، ويتيه الإنسان فى غمارها ، لا يدرى أين الحق من هذا المذهب أو ذاك ، وأين الرأى السديد من هذه النظرية أو تلك ، ثم لا يخرج من بينها إلا وذهنه أشد فراغا ، إلا من سيل دافق من علامات الاستفهام والتعجب يوشك أن يؤدى بعقله إلى محيط مظلم من الشك والإلحاد !

إن الفلسفة أرادت أن تدل الناس على المعرفة فلم تستطع. إنها أرادت أن ترسم سبيل الحقيقة فلم توفق... لماذا ؟ ذلك لأن الفلسفة قد ترضى العقل النظرى، وقد ترضى الاستدلال المنطقى ، ولكنها لا تستطيع بحال أن ترضى الإحساس الروحى ، والذوق القلبى ، وطريق المعرفة إنما يلتمس بالروح لا بالعقل ، ويطلب بالذوق

على أننى أعتقد أنه مهما يكن الرأى فى القائمين بهذه الحركة أو المتدسين عليهم فإن البرنامج الذى وضعوه مفصلا على أساس تلك المبادئ يمكن تبنيه على أن يكون الخلق الذى تتسلح به ذا طابع قومى

إن الأخلاق فى ذاتها لا تختلف بين أمة وأمة ، ولا بين دين وآخر ولكن الفهم لها وطرق التوجيه إليها والانتفاع بها تختلف كما بدا لى أخيرا من الذين تنطبق عليهم الآية الكريمة :

« ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام »

الاسكندرية أحمد عزمى

والقلب لا بالمنطق والفكر !

ولا تعجب بعد ذلك إن رأيت الفلاسفة يجهـدون عقولهم وأفكارهم القرون الطوال بحثا عن المعرفة ، ثم يغادرون الحياة ولما يعرفوا سبيلها ، بل يغادرونها جهالا كما دخلوها ، كما يؤثر عن سقراط الذى قال وهو على فراش الموت : « الآن أعرف من الدنيا حقيقة واحدة وهى أنى لا أعرف شيئاً ! »

هذا ، وفى الوقت الذى كان فيه الفلاسفة يسعون سعيهم ، كان الذين عرفوا السبيل الصحيح من المتصوفة وأرباب الأذواق والمواجيد يطلبون المعرفة عن طريق تصفية النفس والتسامى بها من أدران المادة وشوائب الحس ، إلى عالم النور والفيض والإلهام، ووصل هؤلاء الروحيون إلى بغيتهم فكانوا الرواد الأول ، وكانوا مكتشفى الحقيقة ، والراسمين سبيلها للحائرين فى الأرض . . وقرر هؤلاء أن منهاج المعرفة منهاج واحد فريد هو مجاهـدة النفس ، وقطع مقاماتها، والانسلاخ من حجبها حتى ينجلى عين البصيرة ، فهنا تشرق الروح وتتم النعم وتـكمل السعادة

فيامن تريد قلبا يقظا تدرك به حقائق الوجود ، عليك بالنفس فادرس مراتبها وظلماتهـا ومقامات صفائها ، وعليك بهيكل الجسم الحائل فروضه على الرياضة الروحية الصادقة وخلصه بقـدر من علائق الدنيا ، ثم عليك من فورك بالطريق إلى الله فتعرف آداب سالـكيه، ثم شد الرحال إليه صوب مقامه الأسنى وهناك فى المنبة الأولى التى كنت فيها من قبل فى عالم الذر ، وفى أكناف النبع الأولى الذى فاض منه الوجود بكل مافيه ستعرف حقيقة إنسانيتك وحقيقة الـكون الذى تعيش فيه ، وحقيقة الحياة التى تحياها ، وفى ذلك الفرصة الـكبرى والسـعادة العظمى

وإليك الغزالى حجة الإسلام وفيلسوفه الأكبر خير مثل على ما نقول ، إن نفس هذا الفيلسوف العظيم تاقت فى بداية حياته الروحية أن تصل إلى المعرفة ، وتحرقت شوقا للوصول إلى الحقيقة، فانطلق يطلبها عند أدعيائها من الفلاسفة والمتصوفة والمتكلمين ، وكان فى سعيه بادى القلق، عظيم اللهفة، فوقع ضحية صراع نفسى مرير ظل يعانيه وهو دائم التردد على تلك الطوائف، فبلى أمر الفلاسفة فلم يجد عندهم ضالته ، وبلى أمر المتكلمين فلم يعثر عندهم كذلك على بغيته ... وأخيرا لجأ إلى التصوف ، فأفهمه أربابه أن ضريبة المعرفة عندهم تجرد ومجاهدة ، فكادت نفسه أن تستكين ، ولـكن روحه المعذبة كانت تناديه من الأعماق « الرحيل ، فإنه لم يبق من عمرك إلا القليل ، وبين يديك السفر الطويل » فاستجاب لهذا الهاتف الباطنى ، وترك بغداد مسقط رأسه مهاجرا إلى الله صوب ربوع الشام وهو يردد :

تركت هوى ليلى وسعدى بمعزل ... وعدت إلى محبوب أول منزل
ونادت بى الأشواق مهلا فهذه ... منازل من تهوى رويدك فانزل

وهناك وجد فى ظلال التصوف راحة النفس ، وهدوء البال، وسعدت روحه بالمعرفة المشرقة والسعادة الحقـــة ، وعبر عن ذلك بقوله :

فـكان ماكان مما لست أذكره ... فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

حسن محمد آدم

زعماء الحركة القومية

السيد محمد كريم

للأستاذ عبد الباسط محمد حسن

(٢)

اقتربت الحملة الفرنسية من مياه الإسكندرية فى اليوم الأخير من شهر يونيو — وكان الفرنسيون ينظرون إلى الشعب المصرى ... نظرة العملاق الضخم .. إلى القزم الضئيل — الذى يستطيعون سحقه فى دقائق معدودات !

ألم يقرأوا من قبل ما كتبه الرحالة الفرنسيون عن سهولة فتح مصر ؟

ألم يخبرهم « فولنى » بأن الاستيلاء على البلاد ، والسيطرة عليها .. لا يتطلب إلا عدداً قليلا من الرجال ؟

ألم يبين لهم ضعف الحصون ، وقلة الذخيرة ، وعجز الإسكندرية عن المقاومة .. فوصفها بقوله :

« إنه ليس فى المدينة سوى أربعة مدافع فى حالة صالحة — وليس بين الحامية التى يبلغ عددها خمسمائة من عسكنه إصابة المرمى — بل جميعهم من العمال العاديين الذين لا يحسنون سوى التدخين ؟ »

فماذا ينتظر الفرنسيون بعد كل هذا الوصف الذى وصفه « فولنى » وغيره من الرحالة والتجار الذين زاروا مصر من قبل ؟!

وهل تعجز مدافعهم الضخمة عن تحطيم أسوار الإسكندرية أو تخريب المدينة كلها إذا لزم الأمر ؟

إلا أن ذلك كله سهل يسير .. وليست هناك قوة فى الأرض تستطيع أن توقف تقدم الجيش الفرنسى الظافر ، أو تحطم آمال نابليون فى تكوين إمبراطورية شرقية عظيمة

ولقد كان « نابليون » يظن أن المصريين سيستقبلونه هاتفين مرحبين — وسيضعون فوق رأسه أكاليل الغار .. أينما سار ، وحيثما كان — وكان أبعد ما يتصوره .. أن يقف المصريون فى وجهه .. أو يقابلوه بالقوة والعدوان !

ولذلك بعث إلى قنصل فرنسا يستدعيه ، قبل أن يبدأ الجنود بالنزول إلى البر ... وفى اليوم التالى عاد القنصل ومعه عدد من البحارة أرسلهم السيد محمد كريم لحراسته ، وليعودوا به بعد أن ينتهى من مقابلته للفرنسيين

فأخبرهم القنصل بثورة الشعب وهياجه ، واستعداده للنضال والمقاومة .. كما أخبرهم أن أسطولا إنجليزيا يبحث عنهم فى عرض البحر .. وأنه كان بالثغر ولم يغادره إلا عشية أمس الأول

فلما سمع نابليون حديث القنصل ، خشى أن يباغته الأميرال نلسن بأسطوله ، ولذلك أصدر أوامره إلى القواد بمحاصرة الإسكندرية ، وتطويقها من ثلاث جهات

« [1] وسارت القوة فى منتصف الساعة الثالثة من صبيحة يوم ٢ يوليو بحذاء الشاطئ ، فوصلت تجاه أسوار المدينة عند شروق الشمس ، وأخذت تحاصرها فى الضحى — الجنرال مينو من الغرب .. والجنرال بون من جهة باب رشيد .. والجنرال كليبر من باب سدرة — بينما وقف نابليون على قاعدة عمود السوارى ، واتخذها معسكره العام .. يرقب منها حركة الهجوم ، ويصدر أوامره لقواد جيشه ... »

* * *

ولم يكد السيد محمد كريم يرى الجيوش الفرنسية القادمة ... حتى أصدر أوامره إلى أهالى الإسكندرية بالصمود فوق الأسوار ، ومقابلة القوة بمثلها ، وصد العدوان بالعدوان

ووقف بنفسه فوق قلعة « قايتباى » ومعه فريق من المقاتلة لا ليشرف على المعركة كما فعل نابليون ، ولكن ليحارب بنفسه كما يفعل غيره من أهالى الإسكندرية ، وليضرب لهم أروع

(١) عبد الرحمن الرافعى وتاريخ الحركة القومية جـ ١ ص ١٣٥

الأمثلة فى الجهاد والكفاح والتضحية

وحينما بدأت المعركة ، وضع المصريون أرواحهم فوق أيديهم وباعوها رخيصة فى سبيل الوطن ، وجعلوا يمطرون العدو بوابل من رصاص بنادقهم

وكان السيد محمد كريم — طوال المعركة — يثير النفوس ، ويستحث الهمم ، ويقوى العزائم ، وقد استطاع المصريون خلال هذه المعركة أن يواجهوا الفرنسيين ، ويقتلوا منهم عددا ليس باليسير ...

وقد أصيب الجنرال كليبر أثناء الموقعة بعيار نارى فى جبهته ، كما أصيب الجنرال مينو بضربة حجر أسقطته من أعلى السور ، وكادت تودى بحياته ، ولذلك كتب الجنرال مينو إلى نابليون يقول :

« (٢) إن الجنود يستحقون الثناء العظيم على ما بذلوه من الإقدام والهمة والذكاء ، وسط المخاطر العظيمة التى كانت تحيط بهم ... لأن الأهالى قد دافعوا عن المدينة بشجاعة كبيرة .. وثبات عظيم »

ولما رأى « نابليون » استماتة الشعب المصرى فى الدفاع عن الاسكندرية ، نظر إلى أسوار المدينة فلاحظ أن بالسور رغم ارتفاعه وضخامته ثغرات كبيرة رممت حديثا ...

فطلب من رجاله أن يوجهوا مدافعهم تجاه هذه الأسوار ، وظلوا يضربونها حتى عجزت عن المقاومة ، وبدأ الجنود يدخلون المدينة من الثغرات التى أحدثوها ، حتى وصلوا إلى الجهة الآهلة بالسكان .. فأخذ الأهالى يطلقون عليهم الرصاص . . حتى كاد نابليون نفسه أن يصاب برصاصة قاتلة . . وكذلك قال سكرتيره الخاص :

« (٣) دخل بونابرت المدينة من حارة ضيقة . . لا نكاد لضيقها تسع اثنين يمران جنبا إلى جنب .. وكنت أرافقه فى سيره .. فأوقفتنا طلقات رصاص .. صوبها علينا رجل وامرأة من إحدى النوافذ . . واستمرا يطلقان الرصاص فتقدم جنود الحرس ، وهاجموا المنزل برصاص بنادقهم ، وقتلوا الرجل والمرأة »

ولقد ظل السيد محمد كريم يدافع عن المدينة ، حتى ضعفت الحامية عن المقاومة .. فكف عن القتال ، وسلم المدينة .. ولم يكن فى ذلك التسليم ما يقلل من جهاد السيد محمد كريم . . وحسن بلاء أتباعه . . وإنما كان ذلك منه حكمة وحزما . . وحسن تقدير لمواقب الأمور ...

يقول أحد الحكماء :

« لا عار على أمة قليلة العدد . . ضعيفة القوة .. إذا تغلبت عليها أمة أشد منها قوة .. وإنما العار الذى لا يمحوه كر الدهر .. هو أن تسمى الأمة .. أو أحد رجالها.. أو طائفة منهم.. لتمكين أيدى العدو من نواصيهم . . »

للكلام صلة — عبد الباسط محمد حسن

(٢) نفس المصدر ص ١٣٧

(٣) عبد الرحمن الرافعى : ص ١٣٦



ابن عمى

للشاعر المرحوم صالح شرنوبى

ابن عمى مات .... فامضوا بى إلى قبر ابن عمى ..
ودعوا همى .... فقد ودعت منذ اليوم همى ..
غير ما جد من الموت ، الذى آذن قوى
فرماهم ... ورمانى ومضى ما شاء يرمى .. !

ابن عمى مات ... ما بين صباح ومساء
مات والأحلام تجاوه ... كما يهوى هواه
مات والنعمة ... والقوة فيه ... والحياء
فدعونى من هوى الدنيا ... وعزوا من نعاه

أيها الخلان ، والراحة ... والموت ... هنا
أين من كان يرانا وتراه ... حولنا ؟
أين من كان يحاكى نضرة الدنيا لنا ؟
غيب الترب سناه وهو فى أعيننا ؟

أيها الراحل ... والغبراء قبر فوق قبر ... !
أيها الساكن ... والموكب بالأقدار يجرى
أدننى منك — على قربك من سرى وجهرى
أدننى منك .. فما أدرى — بما أصبحت تدرى

أدننى منك قليلا وادن من روحى قليلا
إن لى فيك رجاء ورجائى أن يطولا
فلقد صاحبت مذ فارقتنى الصبر الجميلا
وبقلبى من تباريحك ... نار ... لن تحولا

أيها الراحل .. ماذا بعد فقدان الحياه ؟
ما الذى بعد انتشاق يعلم اللـه مداه ؟
بعد أن يجرى قضاء شاء أن يجرى الإله
حار فيه كل من دبت على الأرض خطاه

بعد أن يطبق جفنى وترى الظلمة عينى
ظلمة الموت الذى ما ذقته إلا بظن
ظلمة الفقد الذى ييأس فيه المتمنى
ظلمة البين عن الدنيا ... وعن نفسى ... وعنى

ما الذى بعد تعانق وزوالى عن رفاق
أين أمضى . ؟ . وإلى أين . ؟ وقد فك وثاق
سيصلون على روحى .. ويكون فراق
ويقولون إلى اللـه ... شبابا فى البواق

سيقولون ... إلى اللـه .. شبابا .. وكهولا
وسيكون كثيرا ظنه الناس قليلا
شاعرا .. عاش .. ولم يمنع بما قال جميلا
غير أن يرثى ما فات ... ويرجو المستحيلا

شاعرا .. عاش كما شاء الذى الأقدار أمره
والذى يلطف بالعبد ... فما يغلب صبره
والذى ... لاشئ ... إلا عنده يطلب سره
والذى الرحمة من أوصافه .. والقهر قهره

أيها الراحل ... والدنيا بما فيها تهون
حينما أذكر ما تصنع بالناس المنون
الرحى الشمطاء ... ما تفتأ تجريها السنون
والبرايا ... بين شرقيها ... قلوب ... وعيون

شغلتنى عنك أحزانى ... فلم أشهد سراك
ورأى وجهك أهلونا ... ومولاك يراك
ومشى نعيك فيهم وتولتك البواك
وأنا أجهل ما تخفيه ... من حر أساك

ذقت فى موتك ما ذقت ... وما زلت صبورا
وأرى فقدك أعمانى ... وقد كنت بصيرا
وبعادى عنك ... أنسانى ... وقد كنت ذكورا
غير أن أبكى منعاك ... وأستوحى القبورا

طبت فى مثواك ... ما شاء الرحيم المتعان
وعلى داوك غفران ... ونور ... وأمان
وعلى أكبادنا بعدك ... سلوان الزمان
أيها الخالد ... ما تغنى لمغناه معان

صالح على شرنوبى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندي

الصيف

ليس فصل الصيف — عادة — فصل الأدب والفن ، أقصد فن الإنتاج والإخراج، وقد يكون موعد الخلق والإبداع، وموسم تجمع الرؤى والصور ، إذ أن هـذا الفصل بالنسبة للأدباء والكتاب والمفكرين فصل استجمام وراحة واستجلاء للحياة فى مناطق البحر والجبل ، على سواحل مصر أو غيرها من البلاد

ولذلك كان موسم الأدب بطيئا ، بحيث يمكن القول أنه لا موسم ، حتى المطابع التى تنتج الآثار الأدبية ، تشغل اليوم بكتب المدارس وتمد منهـا ما يكفى للعام الجـديد الذى أصبح وشيك الظهور

وقلما تحمل الصحف فى باب « محاضرات اليوم » هذه الأيام شيئا ذا قيمة أو أهمية يكون من شأنه أن يوجه الأدب أو يؤرخه ، فما زال بيننا وبين الموسم الجديد وقت غير قصير

وما تزال حركة الانقلاب الجديدة ، بعيدة الأثر فى الصحافة والأدب ، فقـد انطلقت أقلام الكتاب والشعراء والقصصيين ، وتحررت ، وأخذت تعبر عن مشاعر الأمة ، بالوضع الجديد ، وتصور فرصتها بإنهاء عهد مظلم طال أمده

غير أن هذا اللون الجديد من الأدب ما زال قاصراً على صورة واحدة مكررة ، هى تهنئة الجيش ، وتصوير طغيان الملك السابق وحفلت الصحف ، وما زالت ، بقصص عن الحياة الآثمة التى كان يحياها فاروق ، والتى تمثل فى الصور الجنسية والتصرفات المجنونة ، والأساليب الخادعة ، التى كانت تتكون منها شخصيته

وهى « موجة » عاتية لابد أن تمر بها الصحافة بعـد الانقلاب ، ولـكن الأدب ما زال حتى الآن ، لا يجد مكانه فى النهضة الجديدة

فلا زلنا نرجو أن ينشأ جيل جديد من كتاب النهضة ، جيل فيه إيمان وحرارة وثقة ، وفيه جرأة

جيل لم يتلوث بآثام العهد الماضى ولا شروره ، تـكون له القـدرة على أن يحلل على أضواء علم النفس والتاريخ والتطور « بزوغ » ذلك الفجر الجديد . إن فريقا من كتابنا الـكبـار ، قد وضع أساس هذا العهد الجديد ، أولئك الذين صوروا آلام الأمة وأناتها ، والحجب المظلمة التى كانت تعيش فيها ، أولئك الذين طالما ترقبوا مطلع النور الجـديد ، ورسموا صورة الزعيم المنتظر ، فهؤلاء هم الذين أرضعوا النفوس لبان الثورة ، وهم من حركتنا بمنزلة روسووفولتير فى الثورة الفرنسية ، ولـكن مهمـة جديدة الآن توشك أن تلزم شباب الـكتاب ، وهى « إبداع » اللون الجديد الذى يمثل العهد الجديد

عودة الغريب

كان الدكتور زكى أبو شادى صـاحب مدرسة جـديدة فى الشعر ، وكانت مجلة « أبولو » من المجلات الفريدة ، التى حملت لواء الدعوة إلى المذهب الابتداعى ، وقامت بجهد ليس بالقليل ، وأبرزت طائفة من الشعراء الشبان الذين لمعوا بعد ذلك فى أكثر من مجال من مجالات الأدب والفن والصحافة والإذاعة

ثم بدا للدكتور أبو شادى أن يقيم فى الإسكندرية فنقل مطابعه وصحفه إلى هناك ، وأخذ يوالى عمله الأدبى هناك ، غير أنه أحس أخيرا أن فترة من الحرج تمر به ، وقيل إنه وقع فى محنة « تقوى الإحسان » ! وإن بعض خصومه الذين حمـل عليهم بعنف ، حمل على اتجاهاتهم الأدبية ، استطـاعوا فى ظرف ما أن يضايقوه ويزعجوه ، وأحس أنه لا سبيل مع ذلك إلى البقاء فى مصر ، وكانت طريقته فى معاملة مريديه وأتباعه تقوم على أساس من الأخوة والوفاء والتضحية مما كان له أثره فى حالته المالية

وأخيرا استقر رأى الدكتور أبوشادى على السفر إلى أمريكا ؛ ولـكنه فوجئ قبل أن يركب « الباخرة » بوفاة زوجتـه ، فـكانت نـكبة أخرى ضاعفت متاعبه وآلامه

وقد نشرت « الرسالة » إذ ذاك هذه القصيدة العصماء التى ضمنها الدكتور ديوانه « نحو السماء » الذى طبعه فى أمريكا ووزعه

فى العام الماضى

وسافر الدكتور أبو شادى إلى أمريكا واستقر فى «نيويورك» واستقبل هناك استقبالا حافلا ، وكان موضع تقدير البيئات الأدبية هناك

ومضت سنوات ...

وأحس « أبو شادى » بالحنين إلى مصر ، الحنين الجارف ، وكانت لهب هذا الحنين تتبدى فى قصائده وكتاباته ، وبدأ يتصل بمصر مرة أخرى ، وأحس أحباؤه وأصدقاؤه هنا بأنه يجب أن يعود

وكتبت مجلة « الأهداف » التى تصدرها السيدة جميلة العلايلى ، وكتب صاحب هذه السطور فى « الزمان » ، فى هذا المعنى ، وقد وجهت خطابا إلى الدكتور طه حسين وكان إذ ذاك وزير المعارف ؛ وتحدثت معه فى هذا الشأن فى مقابلة خاصة ...

ويبدو أن الدكتور زكى أبو شادى علم هذا ، فأرسل إلى بعض خاصته يقول إنه لا يريد العودة إلى مصر ، وإن مكانه فى نيويورك لا يدانيه أى مكان يمكن أن يصل إليه فى القاهرة

غير أننا كنا نعرف سلفا ، أن الدكتور أبو شادى ثائر على الأوضاع فى مصر ، وأنه ساخط على كل شئ

أما الآن — وقد أثيرت مسألة إعادته من جديد — فنعتقد أنه سيكون غاية فى الرضا بالأوبة إلى وطنه بعد أن تحرر ، وأخذ يستقبل فجرا جديدا

« فى موعد الذكرى »

كان الأسبوع المنقضى ، موعد الذكرى لعرابى ولدوفيج وفرويد .. ومن قبله كان موعد ذكرى السباعى وفيلكس فارس

وقد مرت هذه المناسبات — فى الشرق — وغيرها يمر كل يوم ، دون أن يذكرها ذاكر ، أو تكون موضع اهتمام الدوائر الأدبية وتقديرها

فنحن لا زلنا لا نحتفل إلا بطائفة قليلة من الأسماء التى لمعت فى غفلة من الزمن ، والتى فرضتها مناورات السياسة ، أو مجاملات التملق !

كنا نحتفل بسعد وفؤاد وإسماعيل وهؤلاء وغيرهم ، أناس رفعت أسماءهم الصدف ، ولا يدخلون فى عداد الأبطال حين يفصل تاريخهم على وجه صحيح !

أما الرجال الذين جاهدوا حقا ، وحفروا أسماءهم فى ضمير الحياة الوطنية أو الفكرية فى الشرق ، فقد كانوا إلى عهد قريب — قبل وثبة الجيش المباركة — مبعدين عن محيط الحياة ، كان لا يستطيع إنسان أن يذكرهم أو يفصل تاريخهم

كان عمر مكرم وجمال الدين والجبرتى ، وأحمد عرابى ، وحسن البنا ، من الأسماء البغيضة إلى الجهات التى تتحكم فى كتابة التاريخ ، وكانت أوامر فى صورة نصائح توجه إلى بعض الصحف بأن لا تنشر عنهم شيئا

وكان محمد فريد ومصطفى كامل ، لا يلقيان مايلقى سعد زغلول أو غيره ، من الحفاوة والتكريم والتقدير !

ولا يزال محمد فريد حتى الآن ، لا يجد من مصر ما هو جدير به من تكريم بعد أن ضحى أغلى تضحية بذلها زعيم فى سبيل بـــلاده !

وإننا لنرجو — وقد خلعنا ذلك الثوب القديم المهلهل ، وجردنا الأدب والفكر والفن منه — أن نستقبل « موعد الذكرى » لأبطالنا والرجال الذين جاهدوا فينا على وجه كريم يليق بذكراهم وكفاحهم ، وعلينا على الأقل أن نقيم تمثالا لأمثال عرابى ومحمد فريد وجمال الدين وحسن البنا

والحق أنه ما من جريدة أو مجلة أوربية تفتحها عفوا ، فى أى موعد من مواعيد الذكرى ، لبطل أو كاتب أو موسيقى أو فنان ، إلا وتجدها حافلة بآثار هذا البطل أو الكاتب ، على صورة عديدة ، مشوقة

ذكرياته الصغيرة ، أحاديثه العامة ، فكاهاته ، قصاصاته ، خطاباته الغرامية ، كل شئ ، حتى تلك الأشياء الصغيرة التى لا يعيرها الناس التفاتا

والأديب فى هذا الميدان لا يقل عن الزعيم ، كلاهما بطل ، كلاهما جاهد وأدى واجبه ، وبذل عصارة دمه وأعصابه وأفكاره فى سبيل وطنه ، فى سبيل الحق والحرية والجمال

لماذا — كما يقول الأستاذ توفيق الحكيم — لا نضع لوحة تذكارية صغيرة على المنزل رقم ٢٣٢ ونكتب عليها ، هنا كان يسكن « المازنى »



زكى طليمات المفترى عليه

للأستاذ عبد الفتاح البارودي

كنت آمل أن أستقبل الوسم المسرحى الجديد بما استقبلت به الموسمين الماضيين من بشر وتفاؤل . بل كنت آمل أن أزداد بشرا وتفاؤلا كما تقضى بذلك سنة التطور . غير أن الأحداث التى تواجه المسرح المصرى فى الآونة الراهنة تدعونى مع الأسف الشديد إلى الحزن والأسى إشفاقا على مصيره . ذلك لأنها ليست من قبيل الأحداث الكثيرة التى واجهت مختلف المسارح فى مختلف الأمم حينما كانت فى دور التكوين، وإنما هى أحداث مفتعلة من شأنها — لو تحققت مراميها — تقوض مسرحنا وتدمر كيانه وتجهز على حاضره ومستقبله، وتعصف بالجهود المضنية التى بذلها المخلصون من رجاله حتى وصل إلى ماوصل إليه من ارتقاء نسبى

ولعله من العجيب أن تحدث هذه الأحداث فى الوقت الذى تطالب فيه البلاد بتطهير مرافقها — والمسرح فى مقدمتها — من الجهل والفوضى ، بل الأعجب من ذلك أن تحدث هذه الأحداث باسم التطهير دون أن يفطن مفتعلوها إلى الفارق الجسيم بين التطهير والتدمير

بدأت هذه الأحداث عمليا منذ منتصف الشهر الماضى عقب أن أوفدت قيادة الجيش الباسلة مندوبا عنها إلى الهيئات الفنيـة ليعاونها فى استنقاذ النشاط الفنى من براثن الرجعية وتوجيه الفنون وجهة قومية تحقق بها وظيفتها المثلى . وكم كان غريبا ومريبا أن يجتمع ممثلو الفرقة المصرية وفرقة المسرح الحديث لا ليعملوا على تحقيق هذه التوجيهات القويمة ؛ ولكن ليقدموا إلى ولاة الأمور مذكرات لا تمس الفن والإصلاح الفنى إلا بقدر ضئيل ، وهى بعد ذلك تتضمن مطالب ينحو بعضها منحى شخصيا ويستهدف غايات غير فنية وينطوى على مثالب وترهات يندى لها الجبين . وليس أدل على ذلك من أن يطعن ممثلو فرقة المسرح الحديث عميدهم « زكى طليمات » طعنات قاتلة ! والأدهى من ذلك أن يطالبوا بتنحيته عن إدارة الفرقة التى تعتبر ثمرة جهاده الفنى

وأبادر فأؤكد أننى لا أبتغى الدفاع عن تصرفاته ولا أبتغى مهاجمة أعضاء الفرقة فى وضعهم الجديد الذى استقروا عليه الآن ، بل لا أبتغى تناول النواحى الشخصية التى انزلقوا إليها ، تاركا تقدير ذلك لحكمة ولاة الأمور وفطنتهم . وإنما أبتغى ، كناقد ، أن أكشف عن بواعث هذه المحنة من الناحية الفنية وحدهـا ، وأن أوضح مدى ما يترتب عليها من خطورة على الفن المسرحى

وربما لا يفى لإيضاح ذلك أن نسرد تاريخ زكى طليمات وجهاده الفنى فى أكثر من ثلاثين عاما؛ بل يجدر بنا أن نتلمس أثره العميق فى الحقبة الأخيرة التى بدأت بإنشاء فرقته وانتهت باستقالته وندب غيره لإدارتها وانقطاع الصلة الوثقى بينه وبين تلامذته الذين تألبوا عليه لنرى نتائج هذا الأثر فى تطور المسرح المصرى وبالتالى لنرى مدى الخسارة التى ستلحق به بفضل المتألبين ... الناشئين !

ونكرر هذا على المنازل التى سكنها سيد درويش ، وكامل الخلعى ، والرافعى ، ونجرى أبو السعود ، وغيرهم !

إن هذه اللوحة الصغيرة لن تكلفنا شيئا ، ولكنها ستكون بعيدة الأثر فى إحياء ذكرى الكاتب أو الفنان بعد مائة عام !

إننا فى عهد البعث ، عهد الإحياء ، هذا العهد الجديد الذى جب كل ما كان قبله ، العهد الذى يقوم على السواعد الشابة الفتية والنفوس المؤمنة الصادقة ، التى ظلت تجاهد وتعمل حتى طلع الفجر من وراء الليل الأسود الطويل ، وفى هذا العهد يجب أن نصنع كل شئ فى سبيل المجد ، مجد مصر .. والأبطال الحقيقيون ، الخالصون ، الذين رفعوا صوتهم فى الأيام السود ، والذين جاهدوا فى وقت كان الظلام يعم فيه كل شئ ، وكانت كلمة الحق أقسى على الظالمين من أصوات المدفع ، وكان كل حر معرض لأن يذهب إلى غير رجعة ، هؤلاء الذين وقفوا وقفة الأسد فى وجه الطغيان ، يجب أن ننحنى لهم اليوم !

أنور الجندى

ولنعد قليلا إلى الوراء . وحسبنا أن نعود إلى الفترة التى سبقت إنشاء هذه الفرقة لنستذكر ما جاهر به النقاد وقتئذ ، فقد أجمعوا على أن المسرح المصرى بلـغ من الهزال حدا لارجاء فيه ، وحاول بعضهم تأويل ذلك إما بغلبة السينما عليه على اعتبار أنها أكثر منه ملاءمة لروح العصر.. أو بانصراف النـاس إلى أمور معاشهم أو ماشابه ذلك ونسوا جميعا أن المسرح فن لا يزال يزدهر عند الأوربيين وهم أكثر منا اشتغالا بالسينما وتكالبا على الأمور المعاشية ... والمهم أن أحدا لم يتمكن من تشخيص الداء ووصف الدواء سوى زكى طليمات . . إذ اهتدى بثقافته وتجربته وتخصصه إلى أمرين جوهريين :

الأمر الأول أن النهاية التى وصل إليها مسرحنا لم تـكن إلا نتيجة حتمية للبداية التى بدأ بها . فقد بدأ فى أواخر القرن الماضى بداية ساذجة بمعنى أنه لم ينبت نبتا طبيعيا كما حدث عند الإغريق، ولم يستنبت استنباتا سليما كما حدث فى أوربا ، فـكان لابد من أن ينتهى إلى تلك النهاية الساذجة

والأمر الثانى أن المسرح فن لا تستقيم له الحيـاة إلا إذا توافرت له البيئة التى تحيا فيها والعقلية التى تدركه ، وهذا مالم يتهيأ لمسرحنا فى شتى عهوده . فـكما أن فـكرة الجيل القديم عنه لم تخرج عن اعتباره إحدى وسائل التسلية والتلهية والتنفيس.. كذلك ظلت فـكرة الجيل الأخير مع اختلاف فى التفاصيل دون الصميم

من أجل ذلك وضع سياسته الفنية على أساس تقريب إنتاجنا من الأوضاع الفنية الصحيحة وتهيئة بيئتنا وأذهاننا لتقبل هذه الأوضاع ، وتحقيقا لهذه السياسة أنشأ فرقته على دعائم منهجية وحدد برنامجها فى ثلاث مراحل رئيسية : المرحلة الأولى مرحلة الترجمة عن الغرب والتلمذ على الغربيين فيما امتازوا فيه ، والمرحلة الثانية مرحلة التجربة والممارسة ، والمرحلة الثالثة مرحلة الخلق والابتداع . وكما وفق فى التصميم وفق أيضا فى التطبيق ، ولهذا أعرضت فرقته عن الوسائل الارتجالية، وترفعت عن ممالأة النزعات السطحية ، وآثرت تقديم الترجمات الممتازة ، فقدمت فى مستهل عهدها ثلاث روايات لموليير ورواية لتشيكوف وأخرى لبريستلى دون أن تمسخها بالتمصير والتعريب..وظلت تسير على هذه الوتيرة حتى تأججت الثورة على الاستعمار فى الموسم الماضى.. فكان زكى طليمات أول من استجاب للدواعى الوطنية من رجال المسرح.. وقدم روايتين وطنيتين.. وآثر أن يرجئ برنامجه ليشارك الثوار ويضئ الطريق للأحرار

وهكذا نجح ماديا ومعنويا.. وأفلح فنيا وقوميا.. وفاز برضاء الوطن والفن وتأييد المخلصين

هذه هى قصة زكى طليمات موجزة خلال العامين الماضيين ، وهذه هى أيضا قصة بجماليون القرن العشرين

فقد روت الأساطير الملينية أن الفنان بجماليون ابتدع تمثالا رائع الجمال فشغف به حبا وتوسل إلى الإلهة أفروديت أن تمنحه زوجة شبيهة بهذا التمثال. واستجابت الإلهة لهذا التوسل بأكثر مما كان يتصور.. إذ منحت الحيـاة للتمثال ذاته وتزوج بجماليون تمثاله الذى ابتدعه بيديه . وما أظن أن رمزية هذه الأسطورة فى حاجة إلى إيضاح.. لـكن مايجدر بنا إيضاحه أن أحدا من شعراء الإغريق لم يحاول إخراجها مسرحيا وإنما اكتفوا واكتفى الأدباء من بعدهم باستلهامها واستيحائها..فاستلهمها (مارستون) فى أشعاره التى ظهرت عام ١٥٩٨ واستوحاها (موريس) فى مجموعته القصصية التى ظهرت عام ١٨٦٨ وجاء المحدثون فوجدوا فيها معينا لمسرحيات كوميدية.. نذكر من هؤلاء جلبرت ثم شو ثم توفيق الحكيم وغيرهم..ومع هذا لم يرتض أحدهم أن يخرجها من إطارها أو أن يزرى بكرامة الفنان بجماليون فى الصراع بينه وبين تمثاله .. واحتفظوا له بكيانه وأخرجوه منتصرا على تحفته الفنية باعتباره مبتدعها ونافخ الروح والجمال فيها . ولـكن خلف من بعدهم خلف أضاعوا الرونق الفنى فرموا المبتدع بحجارة تمثاله وخلقوا من الـكوميديا مأساة .. أولئك هم الزملاء الفضلاء ممثلو فرقة المسرح الحديث وهذه مسرحيتهم التى مثلوها أخيرا مع عميدهم الذى ابتدع فرقتهم، ونفخ فيها الحياة والجمال ، وعشقها وتفانى فى الإخلاص لها فكان جزاءه الجحود والعقوق

وإنى لأذكر فى يوم ميلادها كيف حرص على أن يكتب فى أول نشرة أذاعها : « إن هذه الفرقة لن تهلك إلا إذا ائتمر أعضاؤها على قتلها » وكنت مع إيمانى بحصافته وبعد نظره أعجب لذلك وأعجب أكثر من ذلك لإصراره على تسجيل هذه العبارة فى كل نشراته بلا استثناء ، وما كان يدور بخلدى أن ما توقعه

سيحدث بعد عامين اثنين من إنشائها على الرغم من نجاحها نجاحا منقطع النظير . لم يكن زكي طليمات نبيا ولا مطلعا على الغيب؛ وإنما أدرك — وهو أسبق من زمنه — أن منهاجه العلمي سيؤدي به إلى النجاح بين قوم لم يتوسلوا من قبل بمنهاج علمي بدليل أنهم كانوا يتوقعون له الإخفاق .. وأدرك من جهة أخرى أن هؤلاء القوم سيحاولون هدم ما بناه .. وأدرك أيضاً أن لا شيء ينال منه إلا أن ينهار البناء ذاته . وربما كان أبرز ما يؤيد صحة مدركاته أن مما تتجه إليه النية الآن إدماج فرقته .. بعد ما أوشكت أن تتداعى — بالفرقة المصرية ... وهكذا يتكشف الباعث الأصيل للمطالبة بإقصائه أو بعبارة أخرى لهدم الصرح الذي أقامه ... وتتكشف تبعا لذلك أغوار هذه المحنة الأخلاقية التي أصبحت مضرب الأمثال

إن شيئاً واحدا أريد أن أصارح به زملائي ، وهو أن زكي طليمات « الفنان » حقيقة تاريخية لا سبيل إلى طمسها ، وإذن فلا ضير عليه ، وإنما الضير على أبنائه الذين ضربوا مثلا رائعا في انتهاز الفرص حتى لقد استباحت ضمائرهم إهدار كرامته وهانت أبوته وأستاذيته ، وكل ما أخشاه أن تكون في الإطاحة به إطاحة بهم وبمدرسته الفنية وبالأمل الذي كان راودنا في تحقيق نهضة المسرح المصري الحديث

عبد الفتاح البارودي



الإخـوان المسلمون

كبرى الحركات الاسلامية الحديثة

تأليف الدكتور إسحاق موسى الحسيني

٢١٧ صفحة من القطع المتوسط – نشر دار بيروت ١٩٥٢

للأستاذ عمر عودة الخطيب

هذا الكتاب يجيء في أوانه ، لأن لحركة الإخوان أثرا كبيرا في كثير من الحركات التي شملت الشرق الإسلامي في السنين الأخيرة ، ولا يستطيع المؤرخ المنصف أن يغفل هذا الأثر الذي سجلته الأعمال الجسام والأحداث العظام، ولذا يجدر بالمثقفين أن يعيروا هذا الكتاب عنايتهم ، وبالنقاد أن يعرضوا له بالنقد والتحليل

أما مؤلفه الدكتور إسحاق موسى الحسيني ، فهو أحد أساتذة الجامعة الأميركية في بيروت ، ومثقف واسع الاطلاع ، وأديب مشرق الأسلوب ، وهو جدير بأن يتناول هذا الموضوع الدقيق بقلمه الحر المنصف ، وأن يحلل هذه الحركة الجبارة بعقله الخصب الواعي ، بعد أن كتب في موضوع الإخوان كثير من الكتاب ، وهم بين أنصار يقومون بواجب الدعاية والدفاع ، وبين خصوم يتناولون الحركة بالتجريح والهجوم ، وقد أصبح طالب الحقيقة الواضحة الصافية حائرا بين هؤلاء وأولئك ؛ وبقيت هذه الثغرة مفتوحة لم يستطع الكثيرون سدها ، حتى جاء الدكتور الحسيني بمؤلفه الجديد وجعل رائده أن يبحث عن الحقيقة بحياد وإنصاف ، ولذا فهو لا يألو جهدا في تتبع كلام الخصوم والأنصار، فيؤيد هؤلاء تارة ، ويميل مع أولئك أخرى ، بأسلوب مهذب لبق ، بريء من التهجم ، وخلا عن التعصب ، وحاول أن يكون دائما على الحياد ، وقريبا من الصواب ، بيد أنه — في سبيل هذا الحياد — سلك في بعض الأحيان طريقا وعرة ، وقيد قلمه بقيود ثقيلة ، ما كان أغناه عنها ! ولذا وقع في بعض الأخطاء ، ذلك لأنه يريد أن يقرر في ذهن القارئ بعده عن التحيز لهذه الدعوة ، خشية أن يتهمه أحد بالانتصار لها

وأكبر أخطائه — على ندرتها — وأكثرها شيوعا في كتابه ، رأيه في الحكومة الدينية التي يقول إن الاخوان يعملون لها . ولا غضاضة على الإخوان — في رأينا — أن يسموا إليها ، ويبذلوا الغالي والرخيص في سبيلها ، لأنها أمنية كل مسلم يقظ ، يعرف ما في الحكومة الإسلامية من خير وسعادة للفرد والمجتمع والإنسانية عامة ، ولكن المؤلف في حديثه عن الحكومة الدينية يقف موقف المعارض لها بأسلوب فيه كثير من اللف والدوران يقول : (لا شك في أن الإخوان لم يطالبوا بالحكومة الدينية عبثا .. لقد رأوا بعض القوانين في مصر تبيح ما نهى عنه الدين ، ورأوا

قانونا يبيح الزنا وآخر يبيح الخمر، وهما محرمان دينا فثاروا وطالبوا بتطبيق التشريع الدينى فى جميع الأحوال بلا استثناء، كما كان الحال فى صدر الإسلام، وهذا هو موطن الدقة فى الموضوع، هل جميع القوانين المدنية أدت إلى ما أدى إليه هذان القانونان؟ هل كل تشريع مدنى فاسد؟ لو كان الأمر كذلك لكان التشريع الغربى بل تشريع العالم أجمع؛ عدا القسم من العالم الإسلامى الذى يطبق التشريع الدينى فاسدا، وهو قول سخيف، فالتشريع يستوحى المصلحة العامة فى كل الأمم قاطبة، والمصلحة العامة تلتقى مع الغرض الأسمى من الدين، ولا يجوز عقلا أن يختلفا) ص ١٦٥

وموضع الخطر والخطأ فى هذا الكلام أن الاخوان بنوا فكرة دعوتهم للحكومة الإسلامية حين رأوا قانوناً يبيح الزنا وآخر يبيح الخمر، والحقيقة غير ذلك، لأن كل من يدعو إلى الحكومة الاسلامية سواء أكان الإخوان أم غيرهم، يستطيع أن يجعل قانون الزنا والخمر مثلا سبيلا لقيام الحكومة الاسلامية، لأن مثل هذا السبب لا يصح أن يكون وحده أساسا لمثل هذه الدعوة، وإلا كانت هذه الدولة أخلاقية روحية فحسب، لا شأن لها فى تنظيم المجتمع، وتنمية الثروة، والعلاقات الدولية. نعم إن من أهداف الحكومة الاسلامية، إقامة حدود الله ومنها حد الزنا والخمر ... ولكن ليست هذه وحدها أيضا مما تقوم به دولة الإسلام

والسبب الحقيقى فى قيام الحكم الإسلامى إنما هو الإسلام نفسه ... فالاسلام وجد ليحكم، ويؤسس دولة، وينشئ أمة، ويقود عالما، والعبادة فيه وسيلة لتربية الضمير الإنسانى، ليعدل إذا حكم، وينصح إذا استشير، ويخلص إذا عمل، ويسعى للمصلحة العامة، ويدفع أذى الأعداء، والتشريع الإسلامى الذى هو قانون الحكومة الإسلامية، ينظم شؤون الدولة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وهو صالح لكل زمان ومكان، لأنه قواعد عامة، وأصول مرنة، قابلة للتطور والاجتهاد.

وقول المؤلف (بأن التشريع يستوحى المصلحة العامة فى كل الأمم قاطبة، والمصلحة العامة تلتقى مع الغرض الأسمى من الدين، ولا يجوز عقلا أن يختلفا) فى هذا القول تأييد للتشريع المدنى وأنه يلتقى مع الغرض الأسمى من الدين ... ولا يجوز عقلا أن يختلفا، ونحن نعلم أن التشريع المدنى يبيح الربا وأن الدين يحرمه، والتشريع المدنى — فى كثير من البلاد — يحمى الإقطاع والاستغلال، والإسلام حرب عليها ... فكيف جاز عقلا أن يختلفا؟!

إن فكرة فصل الإسلام عن الدولة، وإبعاده عن الحكم، وإقصائه عن التشريع انحراف به عن غايته السامية، وحبس له فى الخلوة والزاوية، وجعله هيكلا واهنا منحلا، لا يقوى على رد عدوان، أو صد هجوم، وهذا هو ما آل إليه أمر الإسلام بعد أن تكالب عليه الأعداء، ورموه بالجمود والرجعية، ووصموا أتباعه بالتأخر والهمجية، وساموهم سوء العذاب بالاستعمار والطغيان ... ومن المؤسف أن كثيراً ممن شدا طرفا من الثقافة الغربية، وتأثر بالنهضة الأوربية التى قامت على أساس إبعاد الكنيسة عن الدولة، يدعون بهذه الدعوة، وينادون بهذه الفكرة، ناسين ما بين الإسلام والمسيحية من فروق شاسعة، وبون بعيد، وقد تصدى لرد هذه الفكرة الخاطئة الأستاذ سيد قطب فى كتابه (العدالة الاجتماعية فى الإسلام)[1] وكانت سياسة الإخوان، ونشاطهم الاجتماعى والثقافى والاقتصادى، ردا عمليا على هؤلاء الذين يتهمون الإسلام بالجمود، ويضمونه بالعجز عن تنظيم المجتمع الحديث، وهم كما قال فيهم الأستاذ الزيات (يحاولون أن يمثلوا فى الهيكل الواهن المنحل روح الإسلام الفتية القوية، التى نقلت البدو الجفاة الحفاة من بوادى الجزيرة رعاة غنم، إلى حواضر الدنيا قادة أمم) و (هم هم وحدهم الذين يمثلون فى هذا المجتمع الممسوخ، عقيدة الإسلام الخالص، وعقلية المسلم الحق، إنهم لا يفهمون الدين على أنه صومعة منعزلة، ولا الدنيا على أنها سوق منفصلة، وإنما يفهمون أن المسجد منارة السوق، وأن السوق عمارة المسجد، وكان للاخوان المسلمين فى الإرشاد لسان، وفى الاقتصاد يد، وفى الجهاد سلاح، وفى السياسة رأى)

وهناك أمر آخر وثيق الصلة بموضوع الحكومة الدينية، وهو اشتراك الجمعية فى السياسة، يخطئ فيه المؤلف فيقول: (وأثرت هذه الإجراءات الصارمة — يعنى بطش إبراهيم عبد

(١) راجع الفصل الأول من الكتاب وعنوانه « الدين والمجتمع فى المسيحية والإسلام »

المادى – فى البنا الذى رأى البيت الذى بناه بيده فى عشرين عاما قد انهار بين ليلة وضحاها ، ويبدو أنه ندم على اشتراك الجمعية فى السياسة ص ٣٦ ، وأحب أن أؤكد للمؤلف أن البنا لم يندم على اشتراك الجمعية فى السياسة) لأن السياسة – فى عقيدته – جزء لا ينفصل من الإسلام ، ولو فرضنا أن هذه الإجراءات القاسية الرهيبة ، أثرت فى نفسه ، فلا يمكن أن يبلغ أثرها حدا يجعله يتخلى عن جزء من عقيدته التى هى عقيدة الإسلام الخالص. على أنى شهدت له موقفاً خالداً مع مندوب الحكومة فى دار جمعية الشبان المسلمين قبل استشهاده بأيام ... سمعته – رحمه الله – يقول لمندوب الحكومة المفاوض (قل لمن وراءك : إذا كان ملك البلاد ، ومن ورائه حكومته الرشيدة وعلماء الأنام ، كل هؤلاء حرب على الإخوان المسلمين ، فلا أقول عندى مليون أو ثلاثة ملايين ... بل عندى خمسون ، لا يضع الواحد منهم أنفه فى الرغام ، حتى يحطم خمسين من هذه الأصنام) وفى هذا الكلام – بلا ريب – تهديد خطير ، وهو لا يدل على نفس نادمة ، أو عزيمة خائرة ، بل يعنى أن هذه المحنة لم تنل من نفسه ولم تغير من عقيدته ، وكيف ؟! وهو الذى كان يسمى تلك المحنة العصيبة منحة يمحص الله بها الصادقين المخلصين

ثم أراد المؤلف أن يعلل اهتمام الإخوان بالصناعة والشركات، فعجب من أن يغرق الدين بطوفان من الظواهر غير الروحية ص ١٤٥ وقال (إن كانوا يقصدون أن الدين يشرع لهذه المظاهر الدنيوية ، ويفرض سلطانه عليها ، ويحدد سلوك الفرد فيها ، فقد غالوا فى مفهوم الدين ، ووضعوا أمام السائرين فى الدنيا مزالق لا يؤمن فيها العثار) ص ١٤٦ ، ويبدو أن المؤلف الذى يعجب من هذا الطوفان غير الروحى ، لا يريد أن يتخلى عن نظرته إلى الإسلام ، على أنه عبادة وروح وأخلاق ، وأود أن أذكره أن فى كتب الفقه الإسلامى قسما كبيرا للمعاملات ، فيه فصول مسهبة دقيقة تنظم البيع والسلم ، والقرض والرهن ، والتفليس والحجر ، والصلح والحوالة ، والضمان والشركة ، والوكالة والشفعة ، والمزارعة والمساقاة، ولهذه الأحكام الفقهية أدلة قوية، من القرآن الكريم، والحديث النبوى الشريف ، بذل الفقهاء جهداً كبيراً فى استنباطها وترتيبها ... وليس مرد هذا الاهتمام إذاً إلى ممارسة البنا لصناعة إصلاح الساعات كما يقول المؤلف (أما الاهتمام بالصناعة والشركات فربما مرده الأولى إلى صناعة إصلاح الساعات ، التى أتقنها الوالد ، وأولع بها الفتى ، ومارسها كذلك) ص ٤٤ ولا أجد داعياً إلى اتهام الإخوان بالمغالاة فى الدين ، كما لا أجد حاجة لأن يتساءل المؤلف هذا التساؤل العجيب فيقول : (وما الذى حمل الإخوان على مط الدين على هذا النحو ؟) ص ١٤٦ ، فليطمئن على أن الدين لم يمط ، ولن يمط ، لأن فيه إمكانية واسعة لتنظيم شؤون الدين والدنيا

هذه ملاحظات يسيرة ، لا تغض من شأن هذا المؤلف القيم الذى يحوى بين دفتيه حقائق ناصعة ، وآراء صحيحة ، وتحليلا ناجحا لهذه الحركة . فضلا عن ذلك الإحصاء الدقيق لكل ما يتعلق بالإخوان ، وقد ذيل المؤلف كتابه بالمراجع والشروح التى اعتمدها ، ونقل عنها ، فلا يكاد يترك كتابا أو رسالة أو صحيفة أو مقالة فيها حديث عن الحركة ، إلا ذكرها وأوجز ما فيها ، وقد بذل – ولا شك – فى هذا السبيل جهدا كبيرا ، يستحق أن يسجل بآيات الشكر والثناء

محمود عودة الخطيب

البريد الأدبي

إلى الأستاذ محمد سالم الخولي

تحية مباركة

وبعد فقد قرأت في العدد الألفي مقالكم القيم « أثر الرسالة في الأدب الحديث » وأعجبني منه كيف غاب عن ذاكرتكم — وأنتم تعددون أسماء الأشياخ الأعلام وشباب الكتاب — اسم الأستاذ علي الطنطاوي الذي رافق الرسالة من مشرق عمرها المديد على حد تعبيركم — ولا يزال .

أجل لقد عجبت أن يند عن الذاكرة اسم هذا العلم الشامخ ، وإن العهد به في الرسالة لقريب ، فارجعوا إن شئتم إلى مقاله المنشور في العدد ٩٩٨ فهو الغاية في التعريف بهذا الأديب الكبير والدلالة على منزلته الرفيعة وصوته البعيد في الأقطار الشاسعة التي فتحتها له الرسالة الغراء ومكنت له فيها ، وهو إلى ذلك فن بديع في التنويه بالنفس والتعريض بالآخرين

دمشق خليل صادق

لا يعلم الغيب إلا الله

قال الأستاذ ناصر سعيد : (إن النبي ولا شك كان يعلم الغيب) وهذا خلاف الثابت المعروف من الدين بالضرورة ، من أنه لا يعلم الغيب إلا الله ، وإنما يكشف الله لرسوله عن أشياء معينة ، لحكمة يريدها فيخبر بها

ولعلي أعد في هذا الموضوع فصلا أنشره في الرسالة

تصويب

في مقالتي في العدد (٩٩٨) تطبيعات منها كلمة يستشرق للحب وهي يستشرف للحب

علي الطنطاوي

حول شوقية لم تنشر

نشر الأستاذ محمد عدنان حسين في العدد ٩٩٨ رثاء شوقي للمغفور له الخديو توفيق في الصفحات ٩٢١—٩٢٣ وتقع المرثية المذكورة في ٨٣ بيتا . وقال إنها لم تنشر في ديوان شوقي — ولكن التوفيق الذي يصاحب الأستاذ عبدالقادر الناصري في استدراكاته خان الأستاذ عدنان . فالرثاء المذكور طبع ضمن الجزء الأول من الشوقيات طبع مطبعة الآداب والمؤيد سنة ١٨٩٨ م وهو الجزء الوحيد الذي طبع من الشوقيات القديمة والقصيدة فيه من ص ١٣٤ إلى ١٣٨ . وتقع في ٨٦ بيتا أي بزيادة ثلاثة أبيات على ما نشر الأستاذ عدنان . وغني عن التعريف أن الشوقيات القديمة المذكورة أعلاه تحتوي على كثير مما لم يعد طبعه في الأجزاء الأربعة من الشوقيات الجديدة — كما أن بعض ما نشر في الجزء الثاني من الشوقيات الجديدة على أنه غزل إنما هو استهلال قصائد مدح الخديو عباس طيب الله ثراه — مثال ذلك قصيدة علوه كيف يجفو — نشر منها تسعة أبيات من أولها فقط في ص ١٦٣ من الجزء الثاني من الشوقيات الجديدة — بينما هي في ٣٤ بيتا في الشوقيات القديمة انظر ص ٨٩—٩١ ، وحبذا لو تكرم حضرات المستدركين بمراجعة الشوقيات القديمة قبل الجزم بعدم نشر فريدة من فرائد شوقي

عبد السلام النجار

من عثرات الأقلام

كتب الأستاذ الربيع الغزالي في جريدة الأهرام أن (متشرد) صحيحة مثل . مشرد وشريد ، وحجته في ذلك : أن التاء مزيدة للطلب ، وأنه جاء في المنجد ، تشرد القوم : ذهبوا

وهذه الحجة لا تنهض دليلا على صحة ما ذهب إليه ، فإن التاء وغيرها من حروف الزيادة ، ليست زيادتها قياسية في الفعل أو مشتقاته بل مدار هذه الزيادة على ما سمع من العرب ، والقاعدة عند اللغويين أن ما سمع يحفظ ، ولا يقاس عليه ، ولم يؤثر عمن يوثق به من أئمة الفصحى الفعل (تشرد) بمعنى صار شريدا ، ولا يمكن أن يتصور معنى الطلب في (تشرد) لأن التشريد لا يطلبه أحد لنفسه

وورود كلمة (تشرد) في المنجد ليس دليلا على صحتها ، لأن المنجد ليس من المصادر المتمدة عند علماء اللغة ، ولو كانت الكلمة صحيحة لو ردت هي أو بعض اشتقاقاتها في أحد المراجع

المعول عليها عند اللغويين، ثم لم نظم النجد وقد أورد كلة (تشرد) بمعنى ذهب لا بمعنى طرد ، ولا يخفى على أحد ما بين المعنيين من فرق

هذا ولن يضير اللغة أو ينقص من قدرها أن ينفى الزائف عنها ؛ ويقتصر على استعمال الصحيح من مفرداتها

عبد الجواد سليمان

سرقة أدبية

قراء الرساله يذكرون تلك العجالة الخاطفة التى نوه بهـا الأستاذ كمال رستم فى العدد ٩٢٢ من مجلتنا الغراء ، ذاكرا أن الأستاذ إبراهيم المصرى الـكاتب القصصى المعروف . . قد سطا على قصة أنطون تشيكوف « الرهان » وأضافها إلى نفسه بالعدد ٨٥٢ من مجلة آخر ساعة تحت عنوان « الرهان العجيب » ! ومع أن كلة الأستاذ كمال رستم كانت تتسم بطابع العنف ، فقد صمت الأستاذ المصرى صمت المتهم الذى ثبتت إدانته . .

واليوم . . تتكرر نفس المأساة على صفحات آخر ساعة نفسها ، فقد طلعت علينا فى عددها الفائت بقصة للأستاذ أمين يوسف غراب تحت عنوان « دقات الساعة » ، وقدمها على أنها قصة رمزيه مصرية ! والقصة ليست من الرمزية أو المصرية فى شئ ؛ وإن القارئ للعدد ٩٣٤ من الرسالة الغراء . . الصادر بتاريخ ٢٨ مايو سنه ١٩٥١ ، وعلى الصفحة ٦٢٧ من نفس العدد ، يطالع هذه القصة .. وهى مسرحية ذات فصل واحـد من روائع « ميشيل وست » قت بترجمتها وتقديمها . وقد تطاول الأستاذ أمين على أصول القصة ، فنفحهـا بعضا من عندياته ، ولست أدرى ! أهذا إمعان منه فى الـكرم على مؤلفها ذى الحق المسلوب ؟ أم رأى فيها اعوجاجا فأبى إلا أن يتفضل بتقويمه ؟ أم أراد أن يطمس معالم السرقة كما فعل الأستاذ المصرى فى قصته « الرهان العجيب » ؟

عبد القادر حميدة

شخصية الأسبوع

نشرت البروجريه دعنش كلة تحت هذا العنوان عن فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم أشارت فيها إلى مقترحاته لتطهير الأزهر وعزمه على الاستقالة إن لم تجب مطالبه ؛ وقالت إن الشيخ عبد المجيد سليم يتمتع بثقة الغالبية من رجال الدين والعلماء واحترامهم ، وهو معروف بالتقوى والورع. وما حاول قط أن يفيد لنفسه، وقد جعل همه مصلحة الجامعة الأزهرية قبل مصلحة الأفراد، ومن أجل ذلك كافح فى سبيل إنقاذ تلك المؤسسة الدينية . وهو لا يخشى إلا الله ولا يساوم فى كرامته، ولذلك يستحق بجدارة تقدير الوطن

يهز الجيش حولك جانبيه

فى البريد الأدبى من العدد ١٠٠١ من الرسالة الزهراء ، يقول الأستاذ خلف إبراهيم الـكاتب إنه لم يجد البيت :

يهز الجيش حولك جانبيه كما نفضت جناحيها العقاب

فى الجزء الأول من شرح ديوان المتنبى لعبد الرحمن البرقوقى ، والحق أن البيت المذكور إنما هو للمتنبى ، وهو من قصيدته التى يمدح بها سيف الدولة ومطلعها :

بغيرك راعيا عبث الذئاب وغيرك صارما ثلم الضراب

وليرجع الأستاذ إلى هذه القصيدة فى الصفحة ٧٥ من الجزء الأول من شرح ديوان المتنبى للعكبرى ، شرح وتحقيق الأساتذة مصطفى السقا وإبراهيم الإبيارى وعبد الحفيظ شلبى

عبد الرازق عبد ربه

هفوة

قرأت بالعدد الأخير من الرساله الغراء قصيدة ممتعة للشاعر الشاب . . محمد مفتاح الفيتورى . تحت عنوان « العائدون من الحرب » والقصيدة تعد أنموذجا يحتذى فى الشعر الوطنى الحديث ، لولا أن وقع الشاعر الفاضل فى هفوة كنت أحب أن تتخلص منها قصيدته ، إذ أن البيت الثانى من المقطوعة الأخيرة تنقصه « تفعيلة » ، فهو يقول:

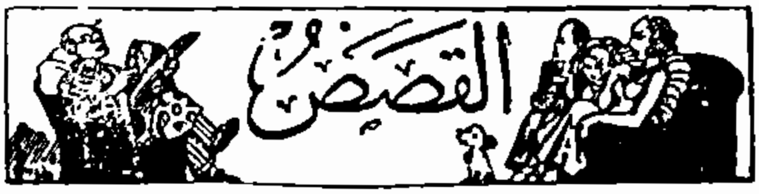
فلا بارك هذى اليـد لا باركهـا الرحمن
(إذا لم تسق بالحب صدى الحيران)

وكان الصحيح أن يقول مثلا :

إذا لم تسق بالحب صدى للمائد الحيران

وبذلك يستقيم البيت وزنا

عبد المنعم عواد يوسف



الحذاء المشئوم

للكاتبة الايطالية جرازيا دليدا

ضاقت سبل الحياة بالفتى إيليا كراى فهو لا يجد عملا، وهو لا يدرى كيف يزجى هذا الفراغ المريض الذى وقع فيه على حين فجأة، إلا أن يقضى شطرا من نهاره فى حجرة الانتظار بالمحكمة واضعاً كراسة على ركبته يثبت فيها ماتوافيه به قريحته من أشعار يناجى بها زوجته الحبيبة، لقد كان الضجيج يعلو بإزائه، والجموع تتقاطر من هنا ومن هناك: ففقيرات النساء يتخاصمن على دريهمات ضئيلة كأنما يتنازعن أقطار الأرض جميعا، وشاهدو الزور يسيرون فى هدوء وأناة يتحينون شيئا، وصغار المحامين يندفعون هنا وهنا يفتشون عن صيد جديد؛ هذا وإيليا جالس فى هدوئه فى زاوية الحجرة، يكتب إلى زوجته بعض الشعر وكأنه لا يحس عما حوله شيئا:

« أنا أستطيع أن أرى الحياة بعينى عقلى، فكل ما يدور فى العالم مقدر قبل أن يكون. أنا شاعر فيلسوف، فليس شئ فى الحياة يثير فى الدهشة لأننى أعلم أن الأيام تعلو بالمرء مرة وتسفل به أخرى. لا تقنطى — ياعزيزتى — فلربما تذكرنا عمى أغسطينو، أغسطينو الذى طرد زوجته وحرمها ماله؛ لعله يذكرنا يوما فنذهب إلى شاطئ البحر معا، نشهد القوارب تضطرب بين الأمواج الهائجة، ونحن نسير ذراعا فى ذراع كأننا عروسان فى شهر العسل؛ على أننا — الآن — سعيدان، فالحب والاطمئنان يغمران قلبينا وحياتنا، وأنت ياسيدار؛ أنت فينوس هرموزا؛ أنت تراثى وأنت مليكتى »

وفى صباح يوم من أيام الشتاء، أحس إيليا وهو فى مكانه من حجرة الانتظار، حيث يجلس دائما؛ أحس أن يداً قوية تجذبه فى عنف، وسمع صوتا خشناً يناديه: « أسرع! لقد كنت فى (تيرانوفا) وعمك هناك يعالج مرضا خطرا ... » هذا صوت سائق ينبهه إلى أمر، ولكنه ما كان ليسلبه بعض هدوئه. لقد أرسل أنة خفيفة خافتة، ثم قال يحدث نفسه: «سأنشر هذا الخبر المحزن على عينى زوجتى »

لم تضطرب الزوجة لما سمعت، ولم تحزن، ولم تفزع من مكانها وهى جالسة أمام باب الدار تلتمس الدفء من أشعة الشمس، وقد ارتدت خير ملابسها، وانتعلت، ورتبت شعرها فى دقة وأناقة؛ غير أن ملابسها وحذاءها وقد عبثت بهما يد البلى، ووجهها وقد شحب وتغضن وذوى جماله، وعينيها وهما تضطربان وقد خبا ضوءهما وانطفأ بريقهما؛ كانت كلها ترسم سطورا واضحة فى تاريخ فاقتها وعوزها

ومن أقصى المكان ارتفعت ضجة تشبه ما يسمعه إيليا دائما فى المحكمة: فهؤلاء أصحاب الدار يتنازعون فيما بينهم أمرا؛ وهذا الندى — وهو جزء من الدار — قد ضم جماعة يلعبون الورق ويمزحون فى ضجة وصخب؛ والزوجة لا يعنيها ما يدور حولها. أما هو — هو إيليا — الزوج العاشق فقد وقف بإزاء زوجته يداعب شعرها فى رفق وتحبب ويقول: « أفتعلمين ما أنا صانع؟ سأذهب ... ! » قالت الزوجة: « إلى أين ... ؟ » قال: « إلى أين؟ لعلك لم تعى شيئا مما قلت! إلى عمى أغسطينو طبعاً! ما أجمل ما أرى فى هذا اليوم ... ! » قالها وقد كتم فى نفسه أموراً استشعرتها الزوجة المسكينة فراحت تحدق فى حذائه المزق مزقا أعيت على الإسكاف، ثم قالت: « وأين لك بالمال تستعين به على السفر؟ » قال الزوج فى ثبات: « إن معى ما يكفينى، لا يشغلك هذا. إن كل ما فى الكون يلذ الحياة والجمال لو أن فى النفس الهدوء والدعة. إن ما يهم المرء حقا هو أن يحب الناس ويحسن معاملتهم. لقد شغلنى هذا كل ساعات الصباح ... أفتريدين أن تقرأى؟ » ثم قطع قصاصة من دفتره وألقى بها فى حجرها وهو يبتسم ... ثم انطلق وما خلف من شئ سوى هذه القصاصة

انطلق ماشيا لأنه لا يملك سوى ثلاث ليرات؛ وكانت فلسفته قد أوحت إليه ألا يتخبط بين هنا وهنا، يقترض، فيضيع وقته فيما لا غناء فيه ... هذا نوع من الرياضة تعوده منذ زمان؛ وما كان لشئ ما أن ينزع عنه رزانته أو يحول بينه وبين أن يصل إلى عمه أغسطينو، وهو رجل سيار. لقد سار فى

نشاط وخواطره معلقة بحذائه دون قدميه ، فهو يشفق عليه ويشفق …

* * *

بلغ إيليا (أوروسى) — وهى قرية فى طريقه — ولم يحدث ما يعكر صفوه ؛ فالطريق ممهد لا حب ، والطبيعة جيلة تحنو عليه لتنسيه بعض متاعبه . لقد كانت رحلة ممتعة ، فى ناحية من الأرض سحرية ، فالشمس تتألق كأنها ماسة كبيرة ، وترسل أشعتها الذهبية فى رفق على صخور الجبل ، والحشائش تضطرب تحت نسمات البحر الرقيقة . وحين اندفع هو فى طريقه تراءت له الزهور الرفافة — زهور الربيع الجيلة — تنفث من عطرها الشذى فى روحه النشاط ، وتذكى فى أعصابه القوة ؛ ثم … ثم انحـدرت الشمس إلى مغربها ، فاستحالت حرارتها المنعشة إلى برد قارس تحمله نسمات الليل ؛ وأحس الرجل أن قدميه تتنديان ، وأن حذاءه قد انفرج عنهما من هنا ومن هنا ؛ فاضطرب وخانته رزانته الفلسفية حين بدا لعينيه أنه لا يستطيع أن يصلح حذاءه أو أن يجد غيره ؛ وأنه لا يقوى على أن يحمل هم الطريق وهم الحذاء الممزق معاً . وتمثل له ما يلاقيه من مهـانة واحتقار حين يبدو فى دار عمه رث الملابس ، زرى الهيئة ، ممزق الحذاء ، وهو لا يريد أن يكون هو ألم نفسه وعار زوجته حين يلج دار عمه فى مثل حذائه . لا بد أن يجد حـذاء ؛ ولـكن كيف ؟ إنه هو لا يدرى … وبعد فترة كان يسير فى شوارع القرية المهجورة المظلمة الندية وقد سيطرت عليه فكرة الحذاء الآخر . وفى ناحية من ساحة فندق هناك صغير يشع نوراً ذهبيا قويا جذب إيليا إليه … جذبه لينام ليلته فى حجرة قذرة ، حيث ينام عاملان فقيران ؛ وقد كان غطيط أحدهما يستلب إيليا من أفكاره ومن نومه معا . استلقى الرجل على فراشه وما فى رأسه غير صورة نعل جديد تتراءى له أينما هفا خياله . فى الشارع ، فى الحقل ، فى زاوية الحجرة ، فى صندوق فى الزاوية الأخرى ، ثم هناك عند الباب وكانت تحور أحيانا إلى أخرى بالية تنم عن الفقر والفاقة .

وظل إيليا تفزعه الريح العاصفة ، والغطيط المدوى فى أرجاء الحجرة ؛ والساعات تمر ، وتعلق بصره بنجم يتألق فى السماء كأنه يسبح بين أمواج البحر المضطربة ؛ وخياله عند زوجته وهو جالس إليها ينشر على عينيها بعض أشعاره الرقيقة الطلية ، وعند الحياة الناعمة التى يحياها إلى جانبها لو ظفر بما يملك عمه

وانتفض الرجل من فراشه بعدلأى وهو يضطرب، وانحنى على حذاء العامل يريد أن يسلبه فوجده ثقيلا واسعا فتركه إلى حذاء الرجل الآخر ، غير أنه لم يجد شيئا ، وطن فى مسمعيه صوت أقدام تدب خارج الحجرة فاضطرب ووقف فى مكانه وقد سيطر عليه الحزن والفزع ؛ وبعث له خسته بحزن … حزن حزن القلب يستشعر الخطر المحدق ؛ وحين انمحى الصوت دلف هو إلى الخارج ليرى … ليرى الردهة خالية إلا من بصيص من نور ، وإلا من قطة تحك جسمها فى الجدار ، وإلا من حذاء بإزاء القطة ، بدا فى عينى الرجل جميلا ، فانطلق إليه يخبئه فى ثنايا معطفه ، ثم اندفع إلى الشارع فى هدأة الليل وسكونه . ولقد غادر الفندق لم يشعر به أحد ، ثم أسرع وتراءى له وهو يسير على شاطئ البحر كأن كواكب السماء تتساقط رويدا رويدا لتغتمر فى هذه اللجة ، فقال : « ياعجبا ! أكل شئ فى الطبيعة والإنسان يريد أن ينهد ؟ » وظل يحدث نفسه هذا الحديث وهو يخب فى الظلام بين الصخور المظلمة والبحر الساكن

ومضت نصف ساعة جلس بعدها ليلبس الحذاء المسروق ، لقد بدا عليه السرور والفرح — بادئ الأمر — غير أنه مالبث أن استشعر الحسرة تفجؤه وتكاد تعصف به ، فراح يحدث نفسه « ماذا يكون لو أنهم تبعونى ؟ سيقتلوننى لاشك، ماذا تقول زوجتى إذن ؟ ستقول : ماذا صنعت يا إيليا ؟ أتسرق حذاء ؟ أى فرق بينك وبين من يسرق مليون ليرة ، أيها السارق ؟

واضطربت الفكرة فى رأسه : « مليون ليرة ! أين هى ؟ أين أجدها لو وجدتها لا ختطفتها لا أبى ولا أتباطأ ! » ثم تمطى وهو يبسم لهذه الخاطرة ، ومد رجليه وحرك أصابعه فى الحذاء الجديد ؛ يا عجبا ! لقد رانت على نفسه سحابة سوداء من الكآبة مرة أخرى ، وشعر بقدميه تتقدان ، وبأصابعه تختلج كأنها تنفر من هذا الحذاء المسروق ! لقد سار فى طريقه متكاسلا ، ومتأبطا حذاءه ليستطيع أن يلبسه إذا تبعه أحد ؛ ثم اضطرب وتوزعته الأفـكار السود ؛ فهو يلتفت إلى وراء بين الفينة والفينة ليرى من عساه يتبعه

وانبثق الفجر كأنه شيطان مارد يحدجه بعينين فيهما البغض والازدراء ؛ يطل عليه وقد قنعته سحابة دكناء من الضباب ليبعث فى نفسه الفزع والرعب ، ولينذر بالفضيحة والويل ! وهؤلاء الناس — عما قريب — ينسلون إلى القرية مارين به ، وحين يسمعون قصة الحذاء المسروق يقول قائلهم ، : « نعم ، لقد رأينا رجلا هناك يسير مضطربا ، وقد تأبط حزمة يخبئها تحت معطفه ... »

ورأى — وهو يسير — فلاحا يسير الهوينى ، فى طريقه إلى القرية ، فخيل إليه أنه يحدق فيه ، ويلتفت إليه بين الحين والحين وعلى شفتيه ابتسامة السخرية والتهكم

ثم ... ثم انحسر الظلام عن نهار حزين كالح ؛ وقد نشرت السحب ذوائب طويلة سوداء تصل بين الجبل الشاهق والبحر المضطرب ؛ والغربان تمر به وهى تنعق نعيقها المشؤوم ؛ وقد انطوى الجمال الذى أحسه بالأمس فى هذه الناحية ؛ وبدت له الحياة عابسة تبعث فى النفس الألم والضيق ، ودوت فى أذنيه أصوات تفزعه من مكانه لأنه رأى فيها أصوات الذين من خلفه يقصون أثره ويسخرون منه ؛ فاستبدل حذاءه القديم المزق بالحذاء الذى سرقه ، وألقى به فى ناحية ثم انطلق

لقد ألقى بعض همه حين ألقى الحذاء المسروق ، ولكنه ما يزال فى اضطرابه ، وخياله ما يفتأ يصور له أشياء ! فهذان العاملان اللذان قضى معهما ليلته ، على أثره يطلبانه بعد أن وجدا الحذاء الملقى ... سيلبيانه ثم يدفعان به إلى المحكمة ، وهناك ... وهناك ... ؛ وتراءى له جماعة يعذبونه ويعذبونه حتى يعترف ...

ماذا تقول زوجته حين يترامى الخبر ؟ وتأججت الفكرة برأسه يؤرثها الإجهاد والبرد والجوع ، فانطرح تتنازعه الخواطر المظلمة كما تتناول الرياح الشديدة العاصفة سحابة فى كبد السماء ؛ ورجع إلى نفسه يلومها على أن طوحت به الأيام فى هذه المتاهة ، يضرب فى الأرض ، ويفقد الراحة والطمأنينة فى وقت معاً ؛ ثم هو لا يطلب إلا سرابا أو أملا كالسراب ، ومن يدرى ؟ لعله لا يستطيع أن يأتى بالحجة القاطعة يثبت بها أن أغسطينو هو عمه ... وبرغم هذا فهو قد ألصق بنفسه عاراً لا يغسل

* * *

نكص الرجل على عقبيه ممتلخ العقل ، مأخوذ اللب ، يحدق فى الحذاء الملقى فى ذهول وبلاهة ، أفيواريه التراب ؟ إنه إن فعل فما غير من الحقيقة التى فى رأسه ! أن هذا الحذاء مسروق ، وأنه هو السارق ...

وتردد إيليا حيناً ، ثم هوى إلى الحذاء يخفيه تحت طيات معطفه ، وارتد إلى القرية لا يستطيع أن يهبطها إلا أن يسدل الليل أستاره ، لقد غبر يوماً كاملا لا يطعم شيئا ، فأحس بأعصابه تتراخى ومشى الهوينى يترنح كأنه عود ذاو تعصف به الرياح الهوج ، وولج الفندق ثانية وكأنه فى حلم ، وعلى شفتيه كلمة الاعتراف ؛ غير أنه وجد المكان هادئاً كأن شيئاً ذا بال لم يكن ، ومر فما تعلق به بصر ، ولم تحم حوله شبهة ؛ فتناول طعامه ، ووضع الحذاء مكانه الأول ، ثم ألقى بنفسه فى لجة من النوم العميق الهادئ ، فما استيقظ إلا عند ظهر اليوم التالى . وحين هم من مرقده اشترى رغيفاً بما بقى معه من مال ثم سار ...

وبدا الجو فى ناظرى إيليا — مرة أخرى — جميلا ، والوادى كأنه يبسم فى رقة وظرف ، والنبات الأخضر تنبعث منه القوة والنشوة ، وهو يندفع فى سيره يفور نشاطاً وحياة على رغم هذا الحذاء المزق الذى تعوج فيه قدماه ، وهو — هو هذا الحذاء — كان يوقظ الرحمة والشفقة فى قلوب الذين يرونه فيمنحونه بعض الخبز واللبن يتبلغ بهما

وبلغ دار عمه وقد أجهده السير وأضناه التعب ، ولكن الأمل كان يشرق فى عينيه فيدفعه إلى الأمام ... لقد مات عمه منذ ساعات قليلة ، وراحت الخادم تنظر إليه فى دهشة وهى تعجب : « أأنت ابن أخيه حقا ؟ لماذا لم تسرع إلى هنا ؟ » ولكنه وقف صامتاً ، فاندفعت هى تقول : « لقد أرسل إليك منذ ثلاثة أيام وانتظر . . . انتظر طويلا وهو يذكرك ، ثم بدا له أنك نسيته ففقد الأمل . وحين أحس بالموت يكاد يقصم عوده أوصى بكل ما يملك إلى اليتامى من أبناء البحارة » ...

فارتد إيليا إلى داره يحمل إلى زوجته الحبيبة إلى نفسه خيبة الرجاء وضيعة الأمل وهو لا يستطيع أن يقول شيئا ...

ك . ع

وحي الرسالة

فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع

المجلد الأول
الثمن ٤٠ قرشاً

المجلد الثاني
الثمن ٤٠ قرشاً

المجلد الثالث
الثمن ٤٠ قرشاً

للأستاذ أحمد حسن الزيات

مطبعة الرسالة